رواية

غرفة في المدينة الجامعية

دعاء العربي

الطبعة الأولى
الكتاب : غرفة في المدينة الجامعية
المؤلف : دعاء العربى
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم الغلاف : محمد جمال
إخراج : احمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٦٨٣٧ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 776 - 098 - 0

التجهيزات الفنية والطباعة
دار يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع
طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

إلى أشـقائى الرجـال الرجـال الذيـن فرشـوا لى أنفاسـهم كـى أسـير بخطـى متزنـة علـى شـوك دون جـراح

إليكم :

سراج . عبد الرحيم . على . محمد . مصطفى .

انطفت شمس صدقه فجلست بعتمة روحها في ركن من أركان المدينة الجامعية تندب حبها مشيعة جثمان ضحكته في نعش الخيانة ،الخيانة تلك الكلمة العاهرة التي تتغذي علي الدموع فتثمر فقدان الذات والإحساس بالنقص،تمنت لو أن التقويم يمنحها فرصة تكرار هذا اليوم كما تمنح المنظومة التعلمية طلابها الراسبين إعادة الامتحان ،لمنعت نفسها من الذهاب إلي ذاك النادي، وبذلك لا تري عمادها في قميصه الأحمر المصبوغ بدم ضحاياه وبنطاله الذي اسود من كثرة ذنوبه قابعا مع فتاة علي أريكة الخداع ،قابضا علي يدها ،شاهرا سلاح "التسبيل"، وبذلك ستسير مركبة حبها دون الارتطام بالحقيقة وستحمل شهادة من مدرسة حبه ليس لها علاقة بالواقع تماما كما الطلاب.

دخلت عليها "سارة" فانقطع حبل أمنياتها واتصلت روحها بالبكاء ،احتضنتها وربتت علي ظهرها بحنان قائلة"ولا يهمك ياهاجر ده ولد مدعي وكذاب وياما حذرتك منه ، صدقيني مايستحقش دموعك " .

ابتلعت مرارتها وللمت حبالها الصوتية قائلة : تفتكري إيه اللي يخلي واحد يخون واحده بتحبه وتخلص له ؟!

أجابتها بأسف: مش كفايه أنك تحبي وتخلصي مع واحد زي عماد بيحب حبك ليه ويخلص لغريزته أكتر ، ماكنش

لازم تديه حجم أكبر من حجمه.

انغرزت تلك الكلمات في قلبها ومن حولها تخلت الأرض عن جاذبيتها ،فلف رأسها وتشوشت رؤيتها حتي ارتطمت بالأرض.

★★★

احتضنتها الحيرة فاحتضنت حقيبتها مؤكد أنها ضلت طريقها ،تتخبط في المارة فتختبئ من نظارتهم خلف حجابها الطويل الذي يمازح كعب حذائها ،كلما ازدحمت الشوارع ازدحمت رأسها بالمخاوف ،تخجل أن تستوقف أحداً لتسأله عن الطريق ، أخذت تلوم نفسها علي إصرارها علي السفر بمفردها.

ظلت هائمة حتي أنقذها صوت المترو، وسيلة كل تائه ، قطعت التذكرة بسهولة ولكن خذلتها ماكينات التذاكر حيث تبادلت علي أكثرهن لعدم معرفتها بأماكن الدخول والخروج حتي أنقذها رجل الأمن لتقع في شرك السلم الكهربائي .

رمقته بنظرة خوف ،تمتمت بآيات الله المنجيات ثم حاولت جاهدة وضع إحدي قدميها وتبعتها بالأخري وباءت محاولتها بالفشل أمام ترددها حتي استقبلت لكمة من الخلف جعلتها في منتصف السلم وبرغم ألمها سعدت بها وتمنت من القدر أن يمنحها بأخري عند الصعود لكنه لم يستجب ،فمدت قدما وهمت بالأخري فلم تسعفها فردة حذائها التي تخلت عنها والتصقت بالسلم ،مما جعلها تتصبب حرجا أمام المارة .

بعدها استقلت عربة مترو أقل ازدحما من الأخريات ،فوجدت الرجال جالسين والفتيات واقفات مع قلة عددهم ،ترحمت علي زمن الشهامة في سرها ووزعت عليهم نظرات العتاب حتي وقعت عليها جملة من عجوز : ستات طماعة مافيش حاجه ماليه عينهم، إيه اللي جايبهم عربياتنا ؟! ،وكمان عايزنا نقوم ونعقدهم مكانا " .

فهمت إن لكل منهم عربيات، حاولت أن توضح له الأعذار لكنها تراجعت امام تجهمه ،اكتفت بالالتفات إلي الباعة الجائليين وبضاعتهم حيث شعرت بأنها في سوق متحرك ،أشياء كثيرة ودت شراءها ولكنها لم تفعل ،كحال الكثير من المغتربين الذين يقفلون علي إنفسهم تجنبا للمواقف المحرجة والمشكلات لجهلهم بطبيعة الأشياء في البلد الجديد .

بعد مرور نصف الساعة من ضجيج الباعة وكلمات المتسولين ومشاجرات الركاب وسبابهم عند الصعود والنزول انتهت رحلتها التي كفرت فيها عن ذنوبها منذ الميلاد ،ووصلت للمدينة الجامعية .

: أنا مكاسب السيد سعيد من سوهاج اللي كلمتك عني مدام صباح

المشرفة : أهلا يامكاسب اتفضلي.

تقدمت بخطوات قلقة مهمهمة بكلمة "شكرا".

المشرفه : إنتِ اتأخرتِ يامكاسب في الحجز ،كل الغرف اكتملت بس عشان خاطر مدام صباح أنا هاتصرف، تعالي معايا.

دب القلق في مفاصلها ،ولمعت عيناها بدمعة حائرة ،ثم حملت حقيبتها التي أثقلها الخوف واتبعت المشرفه بخطي متوترة.

★★★

تُبروزعينيها العسليتين بالكحل الصارخ فتمطر عسلا علي القلوب الظمأنه ،تتحسس شفتياها المكتزتين وتبدل أقلام الروج لتستقرعلي الأحمر الزاهي ، هو بمثابة ختم تختم به علي نفس القلوب ،تتخلص من خمريتها بالمساحيق البيضاء وتبعثر شعرها البني الداكن فيداعب كتفيها ،ترتدي كعبا عاليا لتتمايل بخصرها المياس في ملابسها التي تختارها بعناية فائقة ثم تتطيب بعطرها المميز،وتخرج من الغرفة لتقف في الطرقة أمام المرآة الكبيرة لتخطف نظرة أخيرة لتطمئن علي سلامة هيئتها ،هي الأميرة اسما وفعلا هكذا توجت علي قلوب الرجال، وبمجرد نزولها الشارع تتساقط ضحاياها كورق الشجر ،فهي تؤمن بأن الرجال كالألوان يختلفون في الشكل ويجتمعون في الخصائص ،فمهما كان الرجل، عالما أو جاهلا،عاقلا،طائشا ،متزوجاً، أو أعزب سيخر مستسلما واضعا سلاح مقاومته تحت قدميه أمام عيون أنثي حباها الله الألوان وخاصة لو مثل عينيهاا التي تتأثران بالشمس والإضاءة فتتقلب ما بين العسلي والأخضر ، ولذلك جعلت دستورها "واحد للكف وثان للف وثالث علي الرف " ،بل وجدت متعتها في ذلك ، كانت تستعد للقاء "حسين" زميلها ،شاب نحيف لكنه وسيم

،أبيض ناصع البياض ،شعره أسود ناعم ينسدل علي جبهته ،مرهف الحس ،أول ضحاياها وليس آخرها، سخر حياته لكتابة الشعر في عينيها

★★★

اتجهت المشرفة إلي مبني «١» غرفة (١٥)، طرقت الباب ولم تتلق إجابة فأخرجت مفتاحاً من سلسلة مفاتيح فتحت، ونادت علي الدادة أمرتها بوضع سرير خامس في الغرفة ثم أشارت لمكاسب بوضع حقيبتها موضحة أن هذه غرفتها وهذا سريرها و ليس لها دولاب لعدم وجود مكان .

امتنت مكاسب وارتسمت علي وجهها ملامح الرضا والسعادة وشكرتها ثم فرشت سريرها وارتمت عليه لتستريح من أعباء السفر وضجيج المواصلات .

★★★

جرجرت قدميها مستندة علي «سارة» ومازالت رأسها ثقيلة والدنيا مظلمة في عينيها حتي وصلتا للغرفة .

فوجئت بوجودها، فقالت سارة: إنتِ مين ؟، دخلتِ هنا إزاي، وإيه اللي عملتيه في الأوضه ده؟

ردت بلهجتها الصعيدية: انتوا اللي مين؟! ، دي أوضتي ،وده سريري.

أشاحت سارة بيدها: طب لي حاجتك واطلعي بره ،بدل ما أرميها أنا.

مكاسب: طب أرميها كده ,وأنا أرميكي وراها.

ارتفعت الأصوات وكل من لديها كلمة "ردح" لم تبخل بها حتي جاءت المشرفة.

:يا مس الأوضه ضاقت مفهاش مكان نوقف فيه ،مينفعش كده، قالت هاجر التي مازالت متاثرة بصدمتها العاطفية.

المشرفة: معلش يابنات نستحمل بعض الترم ده بس، والترم التاني هاتصرف .

سارة: لا يا مس مش هنستحمل يوم واحد اشمعني احنا يعني؟

تتخلي المشرفة عن اللين في لهجتها وتتكلم بحدة : أنا قلت اللي عندي ، والمتضررة تتفضل تمشي.

سارة: مش هنمشي يا مس وهنقدم شكوي لرئيس الجامعة شخصيا.

تصاعد الموقف ولم يهدأ إلا بدخول أميرة التي انتهت من لقاء حسين ،استمعت للمشكلة ،وألقت نظرة طويلة علي مكاسب ، ثم نظرت لأظافر يدها هي التي تكلفها الكثير، فاصطحبت سارة وهاجر في ركن من أركان الغرفة قائلة :اسمعي منك ليها دي شكلها بت عبيطه لسه في سنة أولي ،خليها تغسل لنا المواعين وتشوف طلباتنا واحنا بنذاكر ،وكده كده جهاد مش

بتعقد كتير يعني كأننا أربعة زي ما احنا.

سارة: لا والمذاكرة مقطعه نفسها معاكي ، هو أنتِ عارفه نفسك في سنة كام أصلا .

المشرفه: ها ، اتفقتوا علي إيه؟.

أميرة : خلاص يا مس خليها قاعدة الترم ده عشان خاطرك بس وعشان لما نتأخر في دفع المصاريف ماتذليش أهالينا.

★★★

داعب شعرها الكستنائي ،فانفرد علي وسادة العشق،تشابكت الأيدي، فاختلطت الأنفاس وانصهر الجسدان حتي صار جسدا واحداً ، ذابت الشموع فهبت مذعورة، حاول أن يستبقيها بقبلة تركية ،لكن الساعة الثامنة مساءاً أخر موعد لدخول المدينة الجامعية .

عدلت من هيئتها وهرولت مسرعة .

تستعد للمعركة المعتادة بينها وبين مشرفة الأمن.

:ماينفعش تدخلي، الساعة تمانيه ونص .

:يعني إيه ، أبات في الشارع؟

:لا باتي مكان ما كنتي.

أنا كنت في الجامعة عندي محاضرة متأخرة.

:هاتي تصريح بالكلام ده من دكتور المادة زي زمايلك.

:وهما زمايلي لما يتأخروا بتطردوهم كده؟

ساخرة:لا بنبعت جواب لأهليهم الأول نعلمهم أزاي يربوا بناتهم .

استاءت من سخريتها وهمت بضربها لولا حضور المدام رئيسة المبني التي وبخت الأمن :أنتي ازاي بتمنعي طالبه من الدخول وكمان بالليل ؟!

ردت بانكسار: بتجي متأخر كتير حضرتك و...

قاطعتها بحدة :بتتأخر تترفد، تشوف مكان تاني يناسب مواعيدها ثم اتجهت نحوها بنفس الحدة ،اسمك إيه؟

:سارة.

: في سنة كام يا سارة؟

:تالته حقوق.

يعني عارفه النظام، قبل أن تبرر وتدافع عن غلطتها ،رمقتها بنظرة احتقار،دي آخر مرة تتأخري فيها يا سارة .

وقبل أن ترد عليها قطعتها : اتفضلي علي أوضتك.

★★★

تتقلب يمينا ويسار لتقبض علي النوم ، يلفظها الفراش ، فهذه أولي لياليها خارج سريرها الصغير المحصن بـ " شخير " والدها من الخارج وأنفاس والدتها من الداخل، طالتها نيران الغربة، اختنقت فانفجرت باكية ، علا صوتها بنحيب متقطع كنحيب الأطفال.

تأففت سارة : هي ليلة غامقة من أولها ، بتعيطي ليه حضرتك؟ مش قعدتِ علي قلبنا وخدتي سرير أكبر من بلدكم، عايزه إيه تاني؟

زاد نحيبها فتدخلت أميرة مسرعة : مالك يامكاسب خير ؟

: اتوحشت أمي قوي ، مش عارفه أنام من غيرها.

قهقهت أميرة: ليه لسه ما اتفطمتيش؟ فيه حد يعيش بعيد عن اهله ويعيط ؟

مكاسب : محدش حاسس بيا.

أميرة :بقولك إيه، أنا معايا مكالمة مهمة وإنتِ دمرتي برستيجي بصوتك البقري ده ، فخليكي جدعة كده زي ما أنا كنت جدعه معاكي بالنهار ، واتخمدي نامي ها ، أتخمدي ثم قذفتها بالوسادة .

تمسح مكاسب دموعها وماء أنفها وتحاول كتم نحيبها ولكنها لم تستطع.

نهضت هاجر من فراشها واقتربت منها بعيون دبلانه من

أثـر البـكاء وفي وهـن قالـت: عيطـي ، عيطـي أوي ، احنـا البنـات اتخلقنـا عشـان نعيـط ، كل حاجـة فينـا وحوالينا تسـتدعي البكاء .

ثم هزمها الدمع فبكت

هبـت فيهمـا سـارة : ممكـن تعيطـوا بـره فيـه طرقـه كبـيرة معمولـه مخصـوص للعيـاط بالليـل ، ممكـن تولعـوا في نفسـكم حـتي محـدش هيعـترض بـس سـبونا نتخمـد .

زادت دموعهمـا ممـا قلـب عليهـا المواجـع ، فانضمـت لحزبهـن " حـزب البـكاء ليـلا" .

التفتـت أمـيرة مندهشـة : يخـرب بيتكم ، قلبتوها محزنـة كده ليه؟ ثـم اتجهـت لمكاسـب: كلـه منـك يـا فقـر ، قـال مكاسـب قـال ، دانـتي مجموعـة خسـاير في بعـض، ثم تعـود لمكالماتها مرققـه صوتها : سـوري يابيـبي ، الصـوت! ، ده صـوت الt.V ، لا أنـا كنـت بـرد علـي دادي علـي المـوب التانـي بيتصـل عليـا مـن سـنغافورة .

صمتوا لحظة ثم انفجروا ضاحكات من كذبها وطريقة كلامها.

★★★

حتمـا سـتغفر لـه ،فقـط يكلفـه الأمـر مكالمة هاتفيـة ،ولـن تنتظر منه مـبرارا لخيانتـه أوعـذر ، فمثلـه لا يعتـذر ، فقـط مكالمـة عـودة ينـوه فيهـا عـن رغبتـه في الرجـوع ، يسـقط سـقف أمنياتهـا إلـي "رنـة" او رسـالة " ، وهـي مـن تتصـل ، لكنـه لم يفعـل ، لـماذا لم يفعـل؟

ألم يكن الوقت موعد حديثهما معا ، يشكو إليها قسوة الأيام ، وسوء حظه في الحياة ، لماذا لم يتصل لتقسم له أن لا قسوة تعلو علي قسوته ، ولا حظ أسو من الوقوع في حبه ، فمثله يحتاج لهزة أرضيه كي يلين.

تواطأت معه شبكة المحمول اللعينة متلاعبة بأعصابها، فلم تكف عن إرسال رسائل إغراء للشحن، " أشحن تكسب" ، مؤكد شبكة فاشلة ، فإذا لم يكن ، فلماذا لم ترسل "اشحن تنسي" أو " اشحن يتصل بك من تريد" ،وجميعهم يندرج تحت بند الاستخفاف بعقول العملاء.

"عماد يتصل بك" ودت لو تقرؤها ، تصبرت برسائله القديمة ،فتنفرج شفتاها لكلام الرسالة وتدمع لفقدان صاحبها.

دخلت عليها مكاسب حاضنة " سرافيس" الأكل، تصب لعناتها علي الطابور الطويل الخاص بمطبخ المدينة: دي أخر مرة أجيب فيها الأكل ، دا أنا لو بحارب الإرهاب مكنش حصل فيا كده.

لم تلتفت إليها هاجر ، فسألت مكاسب : فين البنات؟

أشارت بيدها نحو البالكونة

" يصلح حالك ربنا" همهمت بها مكاسب ، وأطلقت صوتها مناديه: ياأميرة ، يا سارة تعالوا عشان.....

قاطعتها سارة: أش أش وطي صوتك.

مكاسب : إيه ، بتعملوا إيه؟

سارة بجدية : بنعاكس الإسعاف.

مكاسب : أنتوا مجانين ، حد يعاكس الإسعاف، افرض حد تعبان واتصل ينقذوه ، تتسببوا في موته ، دي جريمة.

سارة: اتلهي، من أمتي الإسعاف بينقذ التعبان ،دول مابيجوش غير بواسطة .

حملقت فيها مكاسب مندهشة من كلامها، فأكدت أميرة: فعلا، هما والمطافي بس المطافي الشهادة لله بتيجي، هي صحيح بتيجي بعد الحرايق ما تخلص والنار تاكل كل حاجه ، فقولنا نستفيد منهم باي حاجه ، نكسر الملل ده.

مكاسب : انتوا معتوهين ، بتصلحوا الغلط بغلط ، عشان حد فيهم مش شايف شغله ، تساعدوه علي كده، وتأذوا ناس تانيه.

سارة: حد فيهم إيه، دول كلهم ، أنا نفسي لما أبويا كان بيموت وينزف قدامي واتصلت عليهم أترجاهم وأبكي وبرضوا ماجوش.

مكاسب حائرة: حسبنا الله في كل واحد مش بيشوف شغله ، مش الحكومة بس هي اللي فاسدة ، الشعب كمان فاسد، المهم يلا بينا نأكل قبل الأكل مايبرد.

★★★

سارة: قومي كلي معانا ياهاجر.

: مش قادرة.

: أزاي مش قادرة، إنتِ كده هيجيلك هبوط من قلة الأكل، تكمل مكاسب : دي هتموت خالص والبرشام اللي بتبلبعه علي الجوع.

تصرخ فيها أميرة: ما تفوقي لنفسك ياهاجر ، محدش يستاهل ، محدش يستاهل ، أغنيهالك .

هاجر: إنتوا ليه مابتحترموش عزلة الناس؟! ، مش عايزه حد يكلمني ، مش عايزه حد يكلمني .

سارة بهدوء: عارفه يا أميرة أنتِ لو دخلتي جهنم ، مش هيبقي لإنك عندك قدرة علي إغراء الأوليا ذات نفسهم، ولا لأنك بتعلقي كل يوم واحد وتقلبيه ، لا ،هيكون بسبب إنك عرفتي هاجر علي واحد زي عماد.

أميرة: ليه إن شاء الله ، أنا اللي قلت لها تخليه فوق بني البشر عشان يخليها تحت الأرض ولا قلت لها اتعجني بمية ضعف قدامه، هي اللي خايبه.

تنفجر هاجر باكية: إنتوا مابتحسوش، قلت مش عايزة حد يكلمني ، سبوني في حالي ، أحسن أقسم بالله ارمي نفسي من فوق واريحكم، ثم تتجه نحو النافذة.

أمسكت بها مكاسب: استهدي بالله كده ، وإنتوا يا بنات

كلوا وإنتوا ساكتين ، ولا روحوا البالكونة شوفوا النجدة ،ناس كتير بتشكي منها ، المهم سيبوها ترتاح.

★★★

وقع عليها جبل من الفزع ، تسللت إليها كل ألوان الفزع بتسلل تلك اليد الفاجرة التي ذبحت كبرياءها ، للمت ماتبقي من روحها المذعورة وعادت لحجرتها الجامعية بانهيار عصبي، جرت نحوها هاجر:فيكي ايه يا مكاسب مالك ؟

زادت ضربات قلبها ، فانكمشت في سريرها مختبئة خلف وسادتها،اقتربت منها سارة بهدوء مؤذ و كوب ماء :اشربي واهدي ،إنتِ مش أول واحدة يتحرشوا بيها.

هبت مذعورة حطمت كوب الماء بحركة جنونية لتمسك ببقايا زجاجه محاولة قطع شراينها قائلة: مش هاستحمل أعيش بعد النهاردة.

انهالت عليها هاجر: هتنتحري عشان اتحرشوا بيكي يا جاهله ، لو كل بنت اتحرشوا بيها عملت زيك كان زمان مصر بتستورد بنات من الصين.

اطلقت اميرة ضحكتها الرنانة وهي تجلس بعيدا برود: عايزه تموتي عشان أيد اتمدت عليكي، لا دااِنتِ مش معانا علي الكوكب بجد.

سارة :فاكره شكله

: كنت راكبه في الميكروباص من قدام ،وهو كان من وراء وماقدرتش أعدل وشي أبص

سارة: جبانه، ضيعتي حقك.

: يعني كنت هعمل إيه بشكله؟

أميرة: بتهكم، أصل سارة اللي عايشه علي المريخ، كانت عايزاكي تروحي القسم تعملي محضر تحرش ،عشان العساكر يتحرشوا بيكي والظابط ووكيل النيابة وبعدين يجي صحفي يتحرش برضه وفي الأخر ياخدلك صورة ويعمل عليكي مهرجان ، مش قادرة تفهم إن المجتمع بيتحرش علي نفسه

سارة: سلبياتكم دي هي اللي بتضيع حقنا.

هاجر: سارة عندها حق يا مكاسب ، كان لازم تاخدي حقك ، اقلها كنتي ليتي عليه الناس يرنوه علقه معتبره.

سارة: مجتمع ذكوري متعفن ، عمره ماهينضف، مش بيقولوا لبس البنات هو السبب، اهي مكاسب لابسه طرحه ملايه سرير وعبايه في وسع الشوال، وسنحتها ماتشجعش قطة تبص في وشها ، لأمواخذة يا ماكسب، وبرضه ماسلمتش من ولاد الكلب.

أميرة بمزاحها المعتاد: ما قالتلك كانت عادله وشها قدام.

مكاسب : حسبنا الله ونعم الوكيل، أنا عمري ما همشي لوحدي تاني ولو حكم الأمر أحول من صيدله لحقوق واروح

وأجـي معاكـم ولا اروح بلدنـا خالـص ، ولا يحصـل لـي كـده.

★★★

شـيء ينقصهـا ، بـل كل شـيء ينقصهـا في غيابـه ، تلاقـت الأعـين فعـادت إليهـا الحيـاة ، ودت أن تهـرب بنظرهـا بعيـداً تعبـيرا عـن غضبهـا ،لكـن الشـوق هزمهـا ، فاقـترب هـو : إزيـك يـا هاجـر ، ردت بدموعهـا ، لم يلتفـت ، فدفعتـه في صـدره : إنـت إيـه يـا أخـي؟! بشـر زينـا بتحـس؟! ، للدرجـة دي مـش فارقـه معـاك ؟!.

بتعمل معايا كده ليه؟ ،ليه مصر تضيعني؟

عماد: مـش أنـا اللـي بعمـل ياهاجـر ولا انـا اللـي هاضيعـك، صحابـك هـم اللـي ضايعـين وهيضيعوكـي معاهـم ،عمـوا قلبـك وهيفسـدوكي، تقـدري تقوليلـي نهيـتي اللـي بينـا ليـه؟

تبتلـع ريقهـا مندهشـة: عشـان شـوفتك بعيـني قاعـد معاهـا في النـادي و.....

: ماوجهتنيـش وسمعـتي مـني ليـه؟، بـس إزاي، لازم تسـمعي مـن سـارة بأنـي خايـن وكـداب وتفضحيـني في كل مـكان.

بعيون زائغة وصوت مبحوح: يعني إيه؟

ماخونتنيش؟

نظر لها نظرة احتقار دون إجابة.

: طب محاولتش تتصل بيا ليه؟

:سارة سبقتني واتصلت وبختني وقالت لازم أبعد عنك عشان هتشوفي حياتك ، وقالت ده كلامك.

هاجر: سارة عملت كده؟

عماد :اكيد ماتقصدش ، هي بس زعلت علي زعلي لما شوفناك مع البت اللي .....وانقطع صوتها

حركت يدها لتلامس يده ، فسحبها معنفا :مش إنتِ اللي تقرري البعد والقرب.

حملت عيناها توسلات أهل الأرض جميعا: أرجوك يا عماد ،سامحني دي آخر مره.

عماد: إنتي جرحتيني بسوء ظنك ، وسمحت لصاحبتك التافهه تهين كرامتي.

: آسفه ، بجد آسفه وهاتصرف مع سارة ولو عايزني .....

قطعها بحدة : عايزك تقطعي علاقتك بسارة خالص.

: إزاي ، دي أكتر من أختي وبقالنا سنين مع بعض وبتخاف عليا أكتر من نفسي

: بقولك إيه فوقي لنفسك كده وكفايه عبط، دي واحدة قذرة وسمعتها زي الزفت وهتضيعك معاها.

: ماتغلطش لوسمحت، قالتها بغضب

: مش عايزه تعرفي أنا بقول عليها كده ليه؟

سادت لحظة صمت بينهما نهشها الفضول والقلق معا فقالت : اتفضل قول.

: سارة البريئة بتروح شقق مع ننوس عين أمه "حمزة" مقضيها بفلوس ، بتبيع نفسها يعني.

صرخت :كفايه، سارة عمرها ما تعمل كده ، أنت كداب.

: لسه بتدافعي عنها ، طب اساليها ، مش بتقولي إنها أكتر من أختك مفيش أخت هتكدب علي أختها

صمتت لتستوعب ما سمعته ، فقال: دلوقتي ليكي الاختيار ، يا أنا ، يا هي ، يا تكملي معايا ونبني مستقبلنا ، ياتضيعي مع سارة هانم ، بس لو أختارتيني وعرفت إنك قولتلها صباح الخير ، هندمك.

أسندت رأسها علي الحائط وأغمضت عينيها ، فتساقطت دموعها ، و هامت علي وجهها ، لا تعرف أين تذهب ، لأول مرة تكون متعبة ولا تريد أن تستند علي سارة ، سارة تلك الشمعة التي تنير لها الطريق وان كانت تحترق.

تتساءل : لماذا يصر القدر علي إزعاجي، إن لم يكن بجرح الحبيب فبغدر الصديق؟

أنا لم استطع مواجهة الحياة بمفردي، الحياة تلك التي أسكنت المتاعب فيها كما تسكن الروح الجسد.

★★★

أميرة: أنا هاحضر محاضرة دكتور عبد الغني علي طول ياسارة

سارة: مع إن عبد الغني بيقرأ من الكتاب وبياخدش نفسه كأننا في حصة قراءة .

أميرة: عبد الغني إيه، النت هنا فريره.

سارة : مدام كده، قومي بينا نروح انا صدعت وزهقت.

أميرة: طب استني لما عبد الغني يرفع وشه من الكتاب نستأذن منه.

★★★

في حجرتهن الجامعية ترقفص هاجر علي سريرها ، وعادت أميرة وسارة من الجامعة لوحت أميرة بيدها كالقاء التحية في حين دخلت سارة مبتسمة ، القت السلام وطبعت قبلة علي خد هاجر قائلة: عاملة ايه يا هوجو؟

ردت مكاسب: من ساعة ما رجعت من الجامعة وهي كده ، ما صدقنا ما راقت شويه الأيام اللي فاتوا.

قلدت سارة لهجة مكاسب الصعيدية بمرح : يبقي شافت

المحـروق ابـن المحروقـه مـع واحـدة تانيـه

رفعـت هاجـر راسـها غاضبـة: لا، شـوفت قذراتـك اللـي كل الناس عارفاهـا إلا أنا.

بنـبرة صـوت مهـزوزة تكلمـت سـارة: بتتكلمـي كـده ليـه يـا هاجـر ، مالـك اتجننـتي ولا إيـه؟

هاجر بهدوء حزين : اللي تبيع نفسها مين يشتريها يا سارة؟

صمتـت سـارة لحظـة استعادت فيهـا نفسـها الطبيعـي ، فاكملـت هاجـر بحـزن: مـش عايـزه أعرفـك تانـي.

ردت سارة بثبات :أنا وحمزة متجوزين عرفي .

هبـت أمـيرة مـن علـي سـريرها لسـماع تلـك الكلمـات ، ولطمـت مكاسـب خدهـا في حـين تاهـت دمعـه في عيـون هاجـر وسـقطت مـن عـين سـارة.

توقـف الزمـن لحظـات ، قطعتهـا أمـيرة: ليـه عملتي في نفسـك كده ، كلهـم خاينـين وملهمـش أمـان ، إنـتِ مـش معانـا علـي الكوكب؟

مكاسـب: هـو فيـه واحـدة عاقلـة تعمـل كـده ،أنـا هلـم هدومـي وامشـي مـن هنـا ، انـا جايـه اتعلـم مـش انحـرف.

سارة : وإنتِ يا هاجر مش عايزه تسألي أنا عملت كده ليه؟

هربـت هاجـر بنظرها بعيـداً ومازالت تلك الدمعـه التائهة في عينيها.

وقفت ساره في وجه النافذة : تقيلة، تقيلة أوي علي رأسهم ، ودني مابتسمعش غير كبرتي، أخوكي عايز الشقة يتجوز فيها ومفيش عروسة هترضي تقعد مع أمه وأخته ، من يوم ما مات أبويا وأنا ماليش مكان في البيت ، كل تحركاتي سرقة ، مش بانام وقت ما أنا عايزة ، مش بأكل اللي بحبه ، ماليش حق أتفرج علي التلفزيون ، مش عارفه أعمل أي حاجه بحرية ، بانام مسجونة وبصحي زي اللي مقبوض عليها ، طول الوقت بيفكروني إني ماليش مكان ، ماليش حق أعمل أي حاجه بحرية.

عارفين يعني ايه حياتك تقف علي واحد يدفع فيكي عشان ياخدك تحافظي علي النوع؟

والنصيب، النصيب مش عايز يجي ، فجبته بالعافيه ، ورطت حمزة في جوازه ، زي ما انتوا عارفين الحب مش ضمان لاصطياد عريس ، كان فرصة لازم اغتنمها ، شاب وسيم ، بيحبني ، وفوق ده كله غني وأهله بيعملوله اللي عايزه .

هاجر: حساباتك غلط ، إنتِ ورطتي نفسك وإنتِ الوحيدة اللي هتدفعي التمن.

: حمزة بيحبني ومش ممكن يبعني.

مكاسب: ولما هو بيحبك ومقتدر زي ما بتقولي ما اتجوزكيش رسمي ليه؟

سارة: عشان بيسقط وأهله عايزينه ينجح وياخد الشهادة الأول.

أميرة: أبشرك ، أول ماهينجح هيخلع.

مكاسب: إنتِ غبية وجبانة ، هربتي من المشكلة بمشكلة أكبر ، كان لازم تواجهي أخوكي ، تقفي في وشه كمان وتدافعي عن مكانك في الشقة

سارة: أقف في وش أخويا أزاي ؟، إنتي بتتكلمي كلام عارفه إنه مش هيحصل.

دمعت هاجر: ياخسارة يا سارة ،يا الف خسارة بجد.

سارة: خلاص، كلكم بقيتوا قضاة وبتحكموا في قضيتي ، علي العموم اللي علي البر شاطر ، دي مشكلتي وهاتحمل نتائجها لوحدي، مش عايزه منكم غير السرية التامة وتحلفوا علي كده.

★★★

جاءت في إسدالها الفضفاض ، وحجابها المزين بحمرة خدودها ، وضعت حقائبها ورمت السلام.

مكاسب: إنتي جهاد مش كده؟

ابتسمت: ايوه أنا، عرفتيني أزاي؟

: من كلام البنات عنك.

: لعله خير.

: خير طبعا ، بيقولوا إنك متدينه وبتاعة ربنا

ابتسمت علي استحياء : ماتعرفتش بيكي.

:مكاسب من سوهاج ، أولي صيدلة.

: ما شاء الله ، ربنا يوفقك.

: هيوفقني أزاي وأنا في الأوضه دي، البنات مستهترين قوي ومافيش مذاكره خالص.

: مالكيش دعوة باستهتارهم ، قدمي النصيحة بطريقة كويسه وبعديها خليكي في نفسك ، إنتِ جايه من قبلي لبحري عشان تثبتي وجودك وتبقي دكتورة.

: ايوه أنا عايزه اثبت وجودي ، شجعيني والنبي ، مش عايزه اخيب ظن أبويا فيا ده بيتفاخر بيا .

★★★

ترتدي فستانا زهرياً طويلاً، تتحمل طوله لتتفادي نظرات المشرفات لكنها لم تتنازل عن ضيقه لتحديد معالم جسدها ،تظلل جفونها بـ " الايشادو" الزهري ، ثم تكثف رموشها بـ" مسكرة" زهري أيضا ، فتلمع عيناها العسلياتان لمعة تحدٍ ، تضع لون " الروج" هادئاً، ليتناسب مع هدوء أعصابها ،وتتزين بأكسسوراتها المختلفة .

سألها سارة: ايه الشياكة دي كلها ، علي فين كده؟ قالت سارة أميرة: مشوار مهم.

غمزت سارة بعينها: حضرة الظابط مش كده؟

اميرة: لا ،ده زحلقته من زمان ، حد خنيق وبيتحكم في تصرفاتي.

سارة: يبقي واحد مستجد.

أميرة: أبدا، ده الواد مينا بتاع علوم.

اختفت الابتسامة من علي وجه سارة: مينا المسيحي؟ إنتِ اتجننتي، ده مايجزلكيش حتي.

أميرة: يعني إنتِ شوفتيني أتجوزته.

سارة: بتعملي في نفسك كده ليه؟ أزاي وصلت بيكي الحقارة إنك تظبطي واحد مسيحي .

تخلت عن برودها: بقولك إيه ، إنتِ قولتي جملة حلوة من كام يوم ، بلاش نبقي قضاة في مشاكل غيرنا ، ياريت تطبقيها، وان كان علي الحقارة يا ستي ،فدي فاكهة المجتمع اللي احنا عايشين فيه.

تتحدث سارة بلين وتوسل :أنا صاحبتك ومن حقي أحذرك وأخاف عليكي ،ابعدي عن الدين ، دي أمور عواقبها سودا.

أميرة: إنتِ أوفر أوي علي فكرة ، محصلش حاجه لكل ده.

سارة: ماتضمنيش ايه اللي ممكن يحصل، بلاش استهتار يا أميرة.

: اطمني، أنا قلبي ميت ، لا هاحب ولا هاتجوز ولا هايضحك عليا.

★★★

أصبحت كعروسة الماريونيت يحركها كما يشاء ، حيث أسقطت كل معاملتها الرجالية ، فكل الرجال هو ، بل كل العلاقات هو ، حتي علاقتها بسارة قطعت أمتثالا لأومره ، تهاتفه لتستئذن منه للخروج للجامعة ولا تخرج إلا بعد سماع موافقته ، تخلت عن حجابها وتمسكت برضاه، سابحة في بحر مستحضرات التجميل ، وصولا لفتاة النادي التي نحتت في الذاكرة ، يعذبها ضميرها ولا تجرؤ علي التوبه ، كالشمس هو يحرقها إذا اقترب ويميتها اذا ابتعد ، كذلك تصم أذنيها عن ألحان اللوم التي تتصارع علي عزفها صديقاتها ، وتتمسك بسجنه.

تستغربها جهاد التي لم تؤمن بالسحر إلا برؤيتها ، تحاول تقويمها بطريقة غير مباشرة، تسألتها: عماد اللي قال لك تخلعي الحجاب يا هاجر؟

: لا ، بس حسيت انه هيبقي مبسوط.

: لازم تفتكري يا هاجر" أن قلب من أحببت بيد من عصيت".

أختنقت وضافت لخيبتها خيبة جديدة: قلت لك مش هو.

جهاد: ربنا يصلح لك الحال.

تتذكر صاحبة الوجه القبيح واليد الأقبح علي الأطلاق التي دهست حيائها بتلك الآله الحادة التي عزفت علي أنوثتها لحن المذلة، تتذكر كتم إحداهن لأنفسها لتحرمها من أبسط حقوقها وهي الصراخ في وجه مجتمع يستأصل من جسدها أرضا للتقاليد ، غير عابئ بذلك الألم الذي يزورها كل مساء ولا بتلك الاضطربات النفسية التي تعاقدت علي الإقامه معاها ، أبدا لن تغفر لمجتمع يدفن أجزاءها وهي علي قيد الحياة، مجتمع يقتصر العفة في ختانها ، ويري في انكسارها نجاة ، فتنكسر وينكسر كل جميل .

أفاقت من ذكرياتها المؤلمة علي صوت أميرة مازحة : اللي واخد عقلك يا مكاسب.

فاجأتها: انا عايزه أحب يا أميرة.

أطلقت أميرة ضحكتها الرنانة لتملأ السماء : يخرب بيتك، ما إنتِ صايعه اهو ، أمال ايه الشويتين بتوع جايه أتعلم وأبويا يفتخر بيا، ومش عايزه انحرف.

: إنتِ ليه الحب عندك إنحراف ؟، الحب الحاجه الوحيدة اللي بتخليكي تتغلبي علي المصاعب أو تعيشيها برضا ، وتتمسكي بالحياة اللي كل يوم بتطردنا براها وتستني عشانه بكره.

أميرة: بس، أنتِ شكلك متفرجه علي فيلم عربي وقتي، وبعدين حب إيه بلبسك ده، تقدري تقوليلي مين هيبصلك

بعباية ستي اللي لابساها دي ولا حواجبك اللي عاملين زي قطرين دخلوا في بعض ، شكلك مش معانا علي الكوكب.

مكاسب: مش بالشكل علي فكرة، المهم الجوهر والجمال الداخلي.

أميرة: لا بالشكل ، لأن الحياة مظاهر والشكل الداخلي ماحدش هيشوفه الا لما يبص بصة علي الجمال الخارجي، زي المحشي كده لو مش ملفوف كويس وشكله حلو ، محدش هياكله مهما كان طعمه.

مكاسب: : محشي إيه ، بقولك عايزه أحب

وقعت جملتها علي أذن سارة العائدة من الخارج ، فعلقت ساخرة: معقول مكاسب عايزة تحب، لحقتي تنبهري بأضواء المدينة.

مكاسب بعصبية: إيه ياجماعة ، هو أنا مش بشر وعندي قلب؟!.

سارة: ماقلناش حاجه ، بس أول حاجه الحب مش قرار، يعني مش تصحي الصبح تقولي عايزه أحب تلاقي نفسك بتحبي ، الحب رزق ، تاني حاجه وأهم حاجه تبعدي عن طريق أميرة ،اديكي شوفتي عملت إيه في هاجر.

أميرة: يا سلام ، طب ما انتي بعدتي عن طريقي اهو، ومع ذلك محدش خسر زيك ، علي الأقل أحنا منقصناش حاجه.

جلد الكلام سارة كجلدة كرباج تقوس ظهرها من شدة ألمها ، لملمت صوتها وبحثت عن كلمات لتدافع بها عن نفسها.

: لا نقصتوا يا أميرة ، انتي وهاجر روحكم كل يوم بتنقص

حتــه، ونقــص الــروح أصعــب بكتــير مــن نقــص الجســد.

تدخلـت مكاسـب منزعجـة: يـا جماعـة خسـارة ،مكسـب، أنـا عايـزه أجربـه ،مـش عايـزه العمـر يتحسـب عليـا مـن غـير مـا اعيشـه ،عايزه أغلـط عشـان اتعلـم الصـح ,وعايـزه اتعلم الصح عشـان اعلمـه اللـي حواليـا ، نفسـي أثـر وأتاثـر مـش عارفـه أبقـي رقـم.

★★★

رفـع أذان الفجر،فارتفعـت روحهـا تحلـق عاليا في السـماء مسـتمتعة بنسـمات الهـواء الهادئـة ،وبصـوت الكـروان الـذي بـدا لهـا وكأنـه يـردد الأذان ، اسـتردت روحهـا الهائمة واسـتعدت لمسلسـل "إيقاظ الغرفـة للصـلاة" وهـو أمـر لا يقـل صعوبـة عـن إيقـاظ ضمائـر حـكام العـرب، فـكل منهمـا لا يسـتيقظ إلا بثـورة علـي مـا يرقـدان عليه ، بـدأت بفـراش أمـيرة، رفعـت عنهـا الغطـاء ، فوجدتهـا تتحدث في الهاتـف بصـوت لا يصـل إلـي وسـادتها ، تافقت أمـيرة ، فاعتذرت علـي اسـتحياء: آسـفه، افتكرتـك نايمـه ، صـلاة الفجـر أثابكم الله.

ردت بضجر: أوك يا جهاد ، روحي وأنا جايه وراكي.

اقتربـت مـن هاجـر النائمـة مـع أهـل الكهـف مسـحت علـي شـعرها، ومسـكت بيدهـا : قومـي نصلـي الفجـر جماعـة ياهاجـر ،فتحـت عينيهـا نصـف فتحـة ثـم غطـت وجههـا وأكملـت نومهـا ، أمـا سـارة كانـت علـي غـير العـادة ، فدائمـا مـا لديهـا عـذر يمنعهـا مـن الصـلاة أمـا اليـوم اسـتجابت علـي الفـور علهـا تجـد

في صلاتها سبيلا للتخلص من قلقها المفرط وضيقها بعد كلام أميرة الذي جلدتها به.

أما مكاسب فبمجرد نطق اسمها تهب مذعورة: أمي جرالها حاجه؟

تبتسم جهاد: لا ،بعد الشر ، قومي صلي الفجر.

بلامبالاه: طيب، تستعطفها جهاد: صلاة الفجر خير من الدنيا وما فيها، وقبل إتمام الجملة ، تعود مكاسب لنومها عازفه لأقوي ألحان " الشخير"

في النهاية لم يقمن إلي الصلاة إلا تحت تهديد المياه المثلجة .

★★★

ابتلت سجادة الصلاة بدموع سارة بعد سماع جهاد تتلو قوله " يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما" صدق الله العظيم

انتهت الصلاة ، وذهبن لاستكمال نومهن عدا جهاد التي تسبح لله وتتمتم بذكره ، اتبعتها مكاسب: ممكن اسالك سؤال يا جهاد؟

: اتفضلي.

: هو الحب حلال ولا حرام؟

: ديننا دين حب، وسيدنا النبي حب واتحب .

: عليه السلام ،أقصد حب الراجل والست وكده يعني.

: ربنا وضع في قلوبنا الحب والإنجذاب للطرف الآخر لتستمر

الحيـاة و الحـب شـئ مقـدس بيمـس الـروح لا الجسـد ، المهـم مانحللـش الحـرام ونرتكـب الذنـوب باسمـه .

تهلل وجه مكاسب ،شكرتها وذهبت.

★★★

مكاسب: تليفونك رن لحد ما فصل شحن يا أميرة.

أميرة: سيبك منه ، ده حسين الحساس.

مكاسب : يعني إيه؟

تركـت أمـيرة المكـواة مـن يدهـا : واحـد كـده بيلـزق شـعره بفازلـين ومرهـف الحـس ، مابيعملـش حاجـه غـير انـه يكتـب شـعر في عنايـا ويقلـك " طوبـي لمـن نـال منهمـا نظـرة" وأنـا في سـري بأقـول: طوبـه في دماغـك يـا بعيـد.

عـلا صوتهـن بالضحـك عـدا هاجـر التي نظـرت لها بطـرف عينيها

أميرة: بلاش البصه دي ياهاجر.

هاجـر: بـلاش إنتِ تحفلي علي مشـاعر إنسـان كل ذنبه انه حبك.

أميرة: أسال مجرب يعني؟

صمتت هاجر وتاهت في عينيها دمعة عزا عليها السقوط .

تدخلت سارة: بقيتي قليلة الذوق أوي يا أميرة وكلامك بقي ناشف.

أميرة: وإنتِ لسه بتدافعي عن هاجر اللي باعتك بكلمة من عماد.

نظرت سارة لهاجر نظرة عتاب ثم ساد صمت قطعته مكاسب: والنبي تردي عليه يا أميرة عايزه أسمع هيقول إيه.

★★★

: آلو، إزيك ياعصام ، أمي عامله إيه؟

: ازيك يا سارة ، كلنا بخير، باقول لك لازم تنزلي الخميس الجاي ، عايزك ضروري.

بحثت عن صوتها لتنطق بكلمة " حاضر" ثم استجمعت قواها متسائلة: هو فيه حاجه ؟

: مش هينفع أقول لك في التليفون ، لما تيجي.

أغلقت هاتفها لتفتح حلقة متواصلة من اللطم والولوله : يا خرابي، أكيد عصام أخويا عرف حاجه ، يا مصيبتي عايزني في إيه ، ده عمره ما اتصل عليا، أكيد الزفت عماد قاله حاجه .

صبرتها أميرة: اهدي ياسارة ، هو عماد هيعرف عصام أخوكي منين ؟

سارة: إنتي ناسيه إن هاجر بنت بلدي وصاحبة عمري زي الخاتم في إيده، هو حطني في دماغه مش كفايه خلاها تقاطعني، لا ده عايز يقطع رقبتي خالص ، بس أنا مش هسكتله.

أميرة: عماد أجبن من كده ومايقدرش يعمل حركة زي دي

وعشان تتطمني أنا هاتصل عليه وأعرف منه ، وبالمره اقول له تتصالحوا إنتِ وهاجر عشان مدايقه أوي من غيرك.

★★★

لم تستطع الإنتظار ليوم الخميس ، فبينها وبينه ثلاثة أيام ، طلبت تصريحاً من المدينة لتسافر في نفس اليوم متحججة بمرض أمها ، لكن خذلتها القوانين التي تشترط مجئ أحد أقارب الدرجة الأولي لأخذها ، احترقت بنار الإنتظار متحملة لدغات عقارب الساعة مقطوعة الأرجل حتي جاء فجر الخميس، جرجرت حقيبة سفرها ولم تنتبه بأنها فارغة ، استوقفتها هاجر: استني انا جايه معاكي.

سارة : مش عايزه اعمل لك مشاكل.

: مش هاسيبك تسافري لوحدك وانتي كده.

★★★

لم يتبق في الغرفة سوي أميرة ومكاسب بعد سفرهما وسفر جهاد التي لا تقيم أسبوعا كاملا في الغرفة .

استعدت أميرة للخروج ، فأمسكت بها مكاسب: خديني معاكي، مش هاقعد لوحدي.

اميرة: أخدك معايا فين، أنا خارجه مع ولاد صحابي.

مكاسب: بالله عليكي يا أميرة ، أنا مخنوقة ومكتئبة ونفسي أخرج معاكي.

أميرة: تخرجي معايا بشكلك ده ،مستحيل ، د إنتِ تجيبي برستيجي الأرض.

مكاسب : طب والله العظيم لو ما اخدتيني ما هاغسل طبق واحد لأخر السنة.

اميرة: خلاص يا فقر هاخدك، بس سيبيلي نفسك خالص، ومش عايزه اسمع صوتك .

★★★

تحسس مسدسه بنظرة حملت شر أهل الأرض جميعا: بتفضحيني وتتجوزي عرفي يا سارة؟

ارتعشت وضاع صوتها : أنتوا السبب ، أنتوا ال...

وقبل إتمام جملتها ، صوب رصاصته نحوها لتصفي رأسها .

استيقظت صارخه فالتفت الركاب ، ربتت هاجر علي يدها : خير ياسارة ، مالك؟

: كابوس فظيع .

: طب اشربي واهدي مافيش حاجه.

لم تشرب ولم تهدأ ،القطار يبدو بطيئا جدا وكأنه يسير فوق

رؤوس النـاس ،ووجـه عصـام يطاردهـا في كل وجـوه الـركاب ، وهـي تنتظـر العقـاب ، كـم هـو مـؤلم انتظـار العقـاب؟

★★★

ايـه اللـي عملـوه لـي في الطرحـه ده يـا أمـيرة، ملفوفـة حولـين رقبـتي هتخنقـني ، قلـت لـك أكـوي شـعري وآجـي بيـه .

أمـيرة :تكـوي إيـه، شـعرك مـش عايـز مكـواه ، ده عايـز عربيـه نـص نقـل تـروح وتيجـي عليـه وبرضـه مـش هيتفـرد ، وبعديـن إيـه حـزام الهكسـوس اللـي حطـاه في وسـطك ده يـا مكاسـب ، مـش قلـت لـك ماتحطهـوش

مكاسب: خفت بنطلونك يسقط مني ، مش شايفه واسع إزاي.

★★★

وصلـت للبيـت بعيـون زائغـة ونبضـات قلـب تتقاتـل مـن أجـل الخـروج ، وقبـل أن تضـع حقيبتهـا : خـير يـا ماما ، في إيـه؟

رحبـت بهـا الأم علـي غـير العـادة ، ارتبكـت أكثـر ، فكـررت سـؤالها : خـير يـا ماما؟

الأم : صبرتي وربنا عوض صبرك خير، جاي لك عريس.

★★★

جلست مهزوزة ، مرتبكة، فلم يسبق لها الجلوس بالقرب من رجل علي مقعد واحد غير أبيها وسائق المكروباص، تستخدم الكلمات في غير موضعها فتتطاير عليها الضحكات ، حيث قال أحدهم: ما تيجي معانا رحلة شرم يا أنسه مكاسب؟

فردت منفزعة: رحلة، يا لهوي ده كان أبويا يطير ورايا .

أحدهم: يطير وراكي ، ليه باباكي غراب.

ابتلعت إهانتها ، ولا تلوم غير نفسها ، هربت للصمت والإنصات لحديثهم ، فتبهر لكلماتهم حينا وتنفر منها أحيانا .

زاد توترها بحضور فخامة سمو الشوكة والسكينة وتلك الدائرة اللعينة التي تدعي " بيتزا" فلا تراها إلا بقايا طعام زائد ، طالتها الحيرة، حاولت أن تستغيث بأميرة المنهمكة بتسبيل عينيها ورمي شبكها علي كل من خط شنبه ،وإن كانت محسوبه علي ممدوح صديقهم، أنقذها أحدهم حيث قام بتقطيع البيتزا وتقديمها لها ، أخذتها بيد مضطربة ، دون أن ترفع نظرها للفاعل، عاتبها بمزاح: مفيش شكرا؟!

تعثرت الكلمة في حنجرتها فخرجت متقطعة بالكاد تصل إلي مسمعه.

ابتسم متعجباً: إنتي منين في الصعيد يا أنسه مكاسب؟!.

: من سوهاج.

: أجدع ناس، أتفضلي كملي أكلك.

لم تضع شيئا في فمها سوي شربة ماء ، حيث خيل لها بان العيون لا تفعل شيئا سوي مراقبة طريقتها في الأكل وسيسخرون منها ، فأخذت تقلب في البيتزا، تاخذ من أولها لتضع في آخرها حتي انتهوا من طعامهم.

قدم لها نفس الفاعل كوب عصير ، فتلاقت الأعين في خجل صامت ، حاولت التخلص منه بعلو صوتها في كلمة " شكرا" الثانية التي كادت أن تصل إلي مسمع رجل أمن النادي من توترها ، انتبهت لها أميرة فغمزت بعينيها : يوسف له معارف كتير في الصعيد يا مكاسب، لو عايزه حاجه من هناك.

يوسف: الصعايده كلهم حبيبنا كفايه أخلاقهم .

زادت ضربات قلبها وانطلق خيالها لمشهد زفافها علي يوسف وهو في بذلته السوداء ممسكا ببوكيه ورد يقدمه لها كما فعل بكوب العصير ، قطعت عليها أحلامها، أميرة التي استأذنت متذكرة موعداً آخر، استجابت لطلبها علي مضض وفي سرها تكيل لها اللعنات.

مد يوسف لها يده بالسلام واختصها بكارت: دي أرقامي ، لو احتجتي حاجه كلميني ، ولو ما احتجتيش برضه كلميني، أبتسم، فابتسمت علي استحياء وهزت رأسها.

فقال: خدي بالك من نفسك.

: حاضر، قالتها علي جزءين.

وقع عليها كوكب من السماء بوقوع كلمة "عريس" علي أذنها ، تلك الكلمة التي سهرت ليالي تتضرع لله من أجلها، وسقطت في شرك الشعوذة والدجل منصاعة لطرق نصبهم الساذجة.

" عريس "، تلك التي جاءت في وقت غيرها ، كصلاة عصر جاءت قبل صلاة الظهر، فلا يجوز صلاتها ولا يجوز تركها .

ضاق من حولها الكون ، فلم تجد فيه ركنا لتمارس حقها في البكاء جهرا ، أو لتعاتب الوقت علي تعنده معاها، "الوقت ذلك الترس الأكثر فاعليه في عجلة الحياة، والأكثر تهميشا منا" فالوقت كالصحة لا نعرف قيمتها إلا إذا أعطت ظهرها لنا وولت ، لاحظت الأم شرودها وتغيرها فقالت: مالك يا سارة، مش فرحانه ليه، أنا قلت أول ما تسمعي كلمة عريس هتضربي زغروطة.

تململت مضطربه ، محاولة أن تمتلك أعصابها ، فتهتهت : لا ابدا، أصل أنا، سقطت في مادة و....، قاطعتها الأم : ولا تزعلي نفسك ، هتبقي في عهدة راجل ، يصرف عليكي ويهنيكي، بطلي تقل بقي.

لم تكن المرة الأولي لشعورها بالقهر ، لكنها الأكثر علي الإطلاق ، تتحدث لنفسها : مش بيقولوا قلب الأم بيحس بوجع وقهر أولادها ، ياتري يا أمي حاسه بيا ولا زحمة الحياة مخلتش مكان للإحساس؟

دخل عصام بشاربه الرفيع وصوته الغليظ ، مشتركا مع سارة

في قامتها الطويلة وشعرها الكستنائي ، منفردا بأسنانه الصفراء من أثر السجائر : مبروك يا سارة ، وقعتي واقفة، عريس بيسافر السعوديه وعلي قلبه شئ وشويات .

سارة: ممكن أطلب منك طلب يا عصام؟

: عايزه إيه تاني، أنا اديت رسالتي معاكي كده.

تغاضت عن رده : ممكن نأجل موضوع الجواز شويه لحد ما الترم يخلص؟

رفع صوته: نأجل، نأجل إيه ، إنتِ عايزه حد يخطفه منك ولا إيه، البنات مرميه في كل حته ومحدش لاقي وده جيبه عمران وجاهز ، أوعي يابت تكوني مش موافقه؟!

: لا موافقه ، بس مش عايزه جواز دلوقت ممكن خطوبة، ويسافر ويرجع نتجوز علي طول.

: طول عمرك فقرية ورزقك مقصر.

لمح تلك الدمعه الحبيسة في عينيها فتكلم بلين: أنا كملت الاربعين يا هاجر ،وعلاج أمك مش مخلي علي قلبي الميه.

هزت رأسها بحسرة.

★★★

تغمض عينيها محتضنة الدبدوب وتسافر مع الكلمات في رحلة اللاوعي، " خليك معايا، خليك معايا يا حبيبي مهما كان ، يا حلم عمري اللي في خيالي من زمان ، عرف أنت أجمل حاجه تفرح الواحد هي ايه ،إن اللي ياما حلمت بيه تلاقيه حقيقة، وأنا عشت بحلم باللحظة دي وده اللي بادور عليه ،أنا اسيب حياتي ودنياتي ولا إني اسيبك ....."افسدت أميرة رحلتها عندما أطفت الأغنية ساخرة:الهضبة وسرحان ، إنتي سخنه ولا إيه يا مكاسب؟

: والسخن بيسمع عمرو دياب يارخمة؟

: طب ايه، استبشر خير؟

هزت مكاسب رأسها : استبشري .

أميرة : مين البطل ياتري؟

مكاسب : يوسف.

أميرة: يوسف مين؟

مكاسب: يوسف صاحب ممدوح.

أميرة: ممدوح مين؟

مكاسب: يخرب بيتك ، يوسف وممدوح اللي خرجنا معاهم امبارح؟

ضحكت أميرة: يخرب بيتك إنتي ياشيخه ، تعرفيه امبارح

وتحبيه النهاردة، انتي مابتضعيش وقت خالص؟

مكاسب: الموضوع مش موضوع وقت، فيه ناس بتبقي في بالك من قبل ما تشوفيها، ومجرد ماتشوفيها ماينفعش تسبيها ، من أول طله كده ، تحبيها.

أميرة: اللي إنتي فيه ده مش حب يا مكاسب ، ده احتياج ، يعني محتاجه حد يسد الفراغ اللي جواكي .

مكاسب: الاحتياج ركن من أركان الحب، وطبيعي إنك تحتاجي للشخص اللي بتحبيه.

أميرة: اديكي قلتي ركن ، يعني مش كل الحب احتياج ، لانك مجرد ماتسدي احتياجك هتلاقي نفسك زهقتي وترجعي تدوري علي الحب من تاني.

مكاسب: صدقني يا أميرة ، مش بس احتياج ، يوسف ده نسخة من فتي أحلامي، حاسه إننا متوافقين وبين كيميا

أميرة: كيميا وتوافق إيه يامجنونة، دي كلها نص ساعة يتيمة قعدتيها معاه ، قضيتي منهم ٢٨دقيقة في الكحة والحمحمة،واللي زي يوسف ده مش بتاع حب ، وانتي مش في دماغه اصلا، ده لو شافك تاني مش هيعرفك.

مكاسب: مشكلتك يا أميرة أنك مابتعرفيش تحبي وفاكره الناس كلها زيك.

أميرة: وإنتِ مشكلتك أنك ساذجه ، ومش عايزه حد يوعيكي ، بس ابقي افتكري كلامي.

تركتها الحيرة تأكل قلبها ، فقررت أن تطفي نارها ، مسكت بكارت يوسف تتأمله ، قرأت اسمه عدة مرات ، وفي كل مرة تستحضر وسامته المغلفة بالهدوء ونظرته المزينة بالحياء ، تعيد سماع كلماته التي نفذت لقلبها " خدي بالك من نفسك" تبتسم مردده " حاضر" ، زحفت يدها علي الهاتف لتطلب رقمه ، تسارعت دقات قلبها لوصول جرس الرنين إليه، اتاها صوته بعد الجرس الأول مباشرة : الو القت بالهاتف علي السرير.

كررها: آلو، آلو، مين معايا؟

خشيت أن يغلق الهاتف، فتماسكت قائلة: آلو،أستاذ يوسف الشرقاوي؟

: أيوه أنا، مين بيتكلم ؟

: مكاسب.

: مكاسب مين؟

خيب أمالها بسؤاله حيث توهمت أنه ينتظر مكالماتها ، ابتلعت ريقها بضيق: أنا مكاسب صاحبة أميرة.

: أميرة مين؟

أغلقت هاتفها وقلبها معا، لتلملم أحلامها المحطمة وتبكي

بحرقـه ، لاعنةسـذاجتها وقسـوتهم.

★★★

عـادت بحقيبتهـا الفارغـة ممتلئـة بالدمـوع ، تتلقـي سـهام اللـوم والتأنيـب متطلعـة لوجـود حـل عنـد إحداهـن ، أشـارت عليهـا هاجـر: صارحيـه بـكل حاجـه يـا سـارة ، وضحيلـه إيـه موقفـك صعـب ،دي مـش مشـكلتك لوحـدك ، هـو الراجـل ولازم يتحـرك وياخـد خطـوة ويخطبـك ، مـش بتقولـي أنـه بيحبـك؟

وافقتهـا الـرأي مكاسـب:صح لازم تصارحيـه ممكـن يوقـف جمبـك ، مـش بتقولـي إنـه شـاريكي؟

رفعـت سـارة رأسـها لتكشـف عـن عينـين ككاسـات الـدم ، تكحلوا بالسـهر ووجـه بائـس : صعـب، لإننـا متفقـين إن مافيـش ارتبـاط رسمـي غـير بعـد الجامعـة.

هاجـر: لكـن جـد في الأمـور أمـور ، لازم يكـون كـد المسـؤلية ، هسـيبك تغرقـي يعـني ؟!

مكاسـب: خـلاص ، ارفضـي العريـس الجديـد واتمسـكي بحقـك في الشـقة.

سارة: مش هينفع.

تخلـت أميره عـن صمتهـا وتكلمـت ، وعندمـا تتكلـم أميرة يصمـت إبليـس ليتعلـم منهـا : إنـتِ في مشـكلة كبـيرة يـا سـارة ، وهي إنك

متجوزة وجايلك عريس معندكيش القدرة علي رفضه ، وماينفعش تروحي لحمزة وتقوليله جملة التدبيس الشهيرة " جايلي عريس" لأن ممكن يطلع ندل ويزحلقك بجملة الزحلقه الشهيرة "إنتِ تستاهلي حد أحسن مني" وبكده تبقي أخدتي مقلب العمر و...

تقاطعها سارة بضيق : لو عندك جملة مفيدة قوليها.

: المفيد بقي، إنك تروحي بوشك البائس ده وعنيكي الحمرا دي وتقوليلي لحمزة : إنك حامل.

فزعت مكاسب: يانهارك أسود، إنتِ أتجننتي ، عايزه المشكلة تبقي اتنين؟

أميرة: بالعكس ده الحل الوحيد للمشكلة ، حتي لو حمزة مش بيحبها ، هيخاف علي نفسه من المشاكل ، ده حد خواف جدا ، لأمواخذة يا سارة.

سارة: طب أفرض قال لي نزلي الحمل.

أميرة : هتقولي له إنك حاولتي ومانفعش، بس أهم حاجه تحسسيه إنك وراكي رجاله يعرفوا يجيبوا حقك .

تبتسم سارة بحزن : رجاله ؟ تقصدي عصام اللي عايز يرميني لأي كلب عشان ياخد الشقة ، ولا نسيتي إني يتيمة ، ايد اتمدت بكل قسوة أخدت السند اللي مسنودة عليه ، فوقعت ضهري انكسر ومحتاجه لمعجزة عشان أقوم.

تمسح دموعها في كمها: عارفين يا بنات ، اليتم ده بيخليكي زي البالونة أقل حاجه تفرقعك.

ربتت أميرة علي شعرها قائلة : اليتم الحقيقي أن والديكي يبقوا عايشين وبيأذوكي .

وبحرقه ودمعة قالت: طب والله أنا بحسدك علي اليتم ده.

صمت الجميع متعجبين ، لأول مرة تتحدث أميرة بوجع ، فدائما ما تتحدث عن الوجع الذي تسببه لضحاياها.

وقفت مكاسب ،وزعت نظرها عليهن: إنتوا ليه موقفين حياتكم علي الرجاله، احنا كيان لوحدنا ، أحنا نقدر نحقق نفسنا بعيد عنهم ، بلاش نخليهم السبب في وجعنا.

عادت اميرة لسخريتها: والنبي بلاش إنتي يا مكاسب، عشان مجرد ما واحد قالك " خدي بالك من نفسك" ركبتي جناحين ورفرفتي في الفضاء.

ابتسموا ، أو حاولوا أن يبتسموا.

★★★

لم تكن الأولي في حياته ،لكنها الأخيرة، هكذا قال ، فلا داعي للعتاب أو الخصام ، مطالبا بإعدام الغيرة.

تكذب نفسها وتصدقه ولكن تتساءل : هل يكون الحب بدون

عتـاب وخصـام؟

تتذكرإجابته: هناك حب يرهقه العتاب ويزهقه الخصام .

تـردد في سـرها: مؤكـد أنـه حـب لا عمـاد لـه ، ولكـن كل الحـب لعمـاد ، ولا حيلـة في الحـب.

تتذكـر ردهـا عليـه : الحـب بـدون عتاب وخصـام كالميـاه الراكدة لا حركـة فيهـا ولا شـكل ، ولكـن لابد أن يكونـا في موضعهما ، فعندما تغيـب بالسـبعة أيـام دون وجـود عـذر قـوي ،فلابـد مـن وجـود العتـاب ويتبعـه الخصـام إن ثبتـت عليـك تهمـة الغيـاب متعمـدا.

رد سـاخرا: هـو فيـه عـذر أقـوي مـن أنـك ميبقـاش معاكـي خمسـه جنيـه تنزلـي بيها الشـارع.

جاء رده صادما لها ، فوضعت نظرها في الأرض آسفة.

: شـوفتي صعبـت عليكـي ازاي، وأحتمـال تكرمشـي عشـرين جنية في ايـدي صدقة.

واسته بعيونها قبل لسانها : بكره هتتعدل صدقني.

:أنهـي بكـره ياهاجـر، أنـا بقالـي تـلات سـنين مخلـص كليـة علـوم ومـش عـارف اشـتغل بشـهادتي ، نفسـي اتخلـص مـن نظـرة الاحتقـار اللـي في عيـون النـاس وأنـا بتـاع سمـك ريحتـه وحشـه ولا وأنـا كاشـير بيبيعـوا فيـه ويشـتروا.

: صدقـني هتتعـدل أنـا سمعـت جمـال مبـارك بيتكلـم عن مشـاريع

استثمار كتير هتحل مشكلة البطالة .

: بيتكلموا بس لكن ما فيش فعل، أنا عايز أسافر ، ماليش مكان في البلد دي.

تتشبث في ثيابه : لا ، أرجوك أنا ما اقدرش أعيش من غيرك لحظة.

★★★

روت حديثه لأميرة متاثرة، فردت عليها: هو عماد كده ساعة مايبقي معاه قرشين يصرفهم علي الصرمحة وأول ما يفلس يعيش في الصعبنيات، وبعدين جاي يشكي لك إنتِ ليه؟ شايفك وزيرة القوي العاملة، ولا عايز يقلبك في قرشين.

هاجر: إيهاللي بتقوليه ده ، حرام عليكي ، أولا أنا اللي سألته عن غيابه ، ثانيا هو عمره ما طلب مني فلوس ولا يسمح اعرض عليه حاجه زي كده ، ده ممكن يسبني فيها .

أميرة: والله ما عارفه متمسكه بيه علي إيه ، ده حتي البنات مابتحبش الراجل المفلس ولا النكدي.

هاجر: ده طيب جدا والله يابنتي ، بس هي ملطشه معاه.

أميرة: ياسلام ماهي ملطشه مع شباب مصر كلها بس بيعافروا ويجيبوا هدايا كمان ،وماسمعناش عن حد عيط لحبيبته بانه

محبوس في البيت عشان معهوش خمسه جنيه ينزل بيها الشارع .

هاجر : تصدقي أنا اللي غلطانه إني حكيتلك، ثم تقذفها بالوسادة.

★★★

انشطرت صورتها في المرآة كما تنشطر صورة القمر ، عندما تلقي حجرا في الماء ليلا، كل شئ يبدو منشطرا ، والدموع لا تمح الانشطار ، تصم أذنيها كي لا يصل إليها صوت ام حمزة الذي ظل يطاردها بكلمات ليس كالكلمات "مومس ، خديلك قرشين ، ...." تضرب راسها في الحائط ، علها تخرج منها العقارب التي لا تكف عن نهشها ، حتي سال دمها ، أغرتها زجاجة مبيد حشري في ركن الغرفة ، فكرت في شربها ، علها تجد في موتها راحة، ولكن أي راحة مع الكفر ؟

تراجعت ، فخسائرها الدنيوية تكفي،جلست علي الأرض تشد خصلات شعرها ، معاتبة الدنيا التي تبخل عليها حتي في الموت.

مدت لها جهاد يدها: قومي يا سارة ، فكتك عند الكريم، أرجعي له

: أرجعله بأي عين؟

: بعين التوبة.

: هيقبلني؟

: رحمته أكبر من ذنبك ،صلي ركعتين حاجه قبل صلاة الفجر وتعالي عشان نصحي الجثث اللي نايمة دي .

مشيرة بيدها علي هاجر ومكاسب وأميرة .

جففت دموعها وهزات رأسها بالموافقة.

★★★

جلست جهاد في إحدي كافتريات الجامعة مع هاجر واميرة اللتين ظلتا تسخران من الذاهب والعائد، ولم يسلم أحد من سخريتهما، فتقول أميرة: بصي ده بتاع سنة اولي عامل تسريحة سعيد صالح وفاكر نفسه اشيك واحد في الجامعة ، ترد هاجر: ولا ده اللي لابس دسته دبل زي سواقين التكاتك ، فتضحكان بملء فمهما ، تنهرهما جهاد : كفايه يابنات حرام عليكم ، " لا يسخر قوم من قوم".

أميرة: احنا بنهزر ، خلينا نفك شويه.

جهاد: ماتهزروش في أعراض الناس ، أنا خايفه عليكم ، فيه سورتين في القران بدأوا بالويل، "ويل للمطففين" "وويل لكل همزة لمزة" ، الأولي في أموال الناس ، والتانيه في أعراضهم.

هاجر: ماتكبريش الموضوع كده يا جهاد ، ده هزار مالوش علاقة بالأعراض ، المهم بصوا مين واقف هناك؟

تلتفت أميرة حولها : مين؟

هاجـر : إيمـان مطـواه ، ضاربـه شـعرها أحمـر ، يـع عليهـا ، مـش قالـت مـش جايـه تانـي؟

جهاد متعجببة: مطواه ! ، اسمها كده ؟

تضحـك أمـيرة : لا يـا بنـتي ، احنـا مسـمينها كـده عشـان وشـها علـي هيئـة مطـواه.

تسـحب جهـاد مقعدهـا مسـتغفرة : إنتـوا بتسـخروا مـن خلقـة ربنـا وتتنابـذوا بالألقـاب وتقولـوا هـزار ، دي مـش أخـلاق الإسـلام أبـدا، أنـا ماشـيه.

تسـتوقفها أمـيرة : اسـتني بـس ، عبـير جميـزة جايـه دلوقـتي وهتظبطنـا في مذكـرة الامتحـان .

تضحـك هاجـر حـتي تدمـع عيناهـا ، وتذهـب جهـاد طالبـه لهـم العفـو والمغفـرة .

اسـتكمالا مزاحهمـا ، حـتي مـر أمامهـا طالـب وسـيم ، وأنيـق حـد لفـت الانتبـاه ، لا ينقصـه سـوي قدمـه الأيسـر الـتي عوضهـا بإحـدي أجهـزة التعويـض، وقـف علـي بعـد منهمـا ملقيـا نظـرة طويلـة علـي أمـيرة الـتي لاحظتـه ، فرمـت لـه ابتسـامة مغلفـة بشـرار عينيهـا ، قابلهـا بأخـري مـن الأذن لـلأذن ، لاحظتهمـا هاجـر فلكزتهـا : يخـرب بيتـك ، إنتـش مـش عاتقـه ؟

أميرة: يا ستي أدينا بنتسلي.

هاجـر: الجامعـه كلهـا مـش مقضياكـي تسـليه ؟ انـتي مظبطـه الجامعـه كلهـا، فبـلاش عمـرو ده.

أميرة : ليه ؟ كان عمرو بن العاص ، كلهم نفس القطعية.

هاجـر: لا ياخفيفـة ، اللـي زي عمـرو بيبقـوا حساسـين أوي ، فبـلاش تتسـببي في جـرح قلبـه جمـب جـرح إعاقتـه.

أمـيرة: حسـاس إيـه يـا عبيطـة، ده بيتاجـر بإعاقتـه في كل حاجـه ، حـتي في الحـب ، كل شـويه .....

قاطعهـا صـوت مكاسـب الآتيـه مـن بعيـد : الحقـوا يابنـات تعالـوا شـوفوا إيـه اللـي بيحصـل لسـارة عنـد مـدرج ٥.

قالا بصوت واحد يملؤه الفزع: مالها ساره ، خير؟

مكاسـب : تعالـوا شـوفوا بنفسـكم ، قالتـه وجـرت ، فجـروا خلفها لـيروا حمـزة ممسـكا ب "بانـر" كبـير مرسـوم علـي جانبـه صـورة بالألـوان لسـارة ،وفي منتصفـه مكتـوب الآتـي :

إلي تؤم الروح

ووحيدة القلب "سارة"

قبلك كنت رجلا من فراغ ، متشابهة ايامه ، مبعثرة أحلامه

لا يعرف للفرح طريق.

فحضرتِ لتملئ روحي الفارغة ، وتدليني علي روحي التائهة

شاركتني أنفاسي، فأردت أن أشارك الحياة

تتجوزيني؟

حمزة

★★★

بكت سارة من فرحتها ، وتبادلات الأحضان مع صديقاتها ،فالتف حولها طلاب الكلية يصفقون ويصرخون ، فحضر أمن الجامعة بشكوي من أحد أستاذة الجامعة الذين يحتقرون تصرفات العشاق ويرونها منافية لشرقياتهم ، بل ومضرة للمجتمع ، المجتمع الذي يخجل من الحب ويتباهي بالعنف ، فرقوا الطلاب ، وأمسكوا بحمزة كأنه متهم وقدموه لإدارة الكلية للتحقيق معه ومن ثم فصله لمدة عام كامل .

ذهب الطلاب وهم ساخطين علي الجامعة وعلي المجتمع ، فكثيرا ما شاهدت ساحة الكلية مشاجرات بين الطلاب ، ، يحلونها بشكل ودي ، ولم يسمعوا عن فصل طالب واحد.

حقا مجتمع يغذي العنف.

سخط الطلاب ولم يسخط حمزة ، فهو في كل حالاته راسب ، فعامه بعامين ، إن لم يكن بثلاثة ، كذلك سارة التي فاقت فرحتها بإنصاف حمزة لها وعدم خذلانها ،علي سخطها علي رسوبه أو علي مجتمع لا يوقر الحب.

تقلب مكاسب في صفحات كتابها هباء متسائلة: تفتكري يا أميرة ، ايه اللي خلي أم حمزة توافق علي سارة بعد ماهزقتها وهددت إنها ممكن تسجنها وطردتها ؟

تنفخ أميرة في أظافرها كي يجف " المونكير" الذي وضعته بتركيز وحرص شديدين وبصوت منخفض قالت: أصل حمزة حاول ينتحر وقطع شرايينه ولحقوه بالعافيه، فمامته استسلمت للأمر الواقع.

مكاسب : حمزة ولد خرع ومستهتر مش كد مسؤليات، سارة خسارة فيه.

أميرة: ياستي كفايه أنه ماأتخلش عنها ووفي بوعده معاها .

مكاسب: تفتكري أخو سارة هيوافق علي حمزة اللي لسه طالب ويسيب العريس الجاهز ؟

اميرة: أخو سارة أهم حاجه عنده أنها تتجوز بسرعة ، وحمزة واهله فاكرين سارة حامل وبالتالي هيعجلوا بالجوازة.

مكاسب : ياخبر ، دي سارة هترخص اوي عندهم

أميرة: اللي يرخص علي أهله ما يغلاش علي حد يا مكاسب.

★★★

تتوهم حديثه وهو يعرض عليها الزواج ممسكا ب" بانر" كما فعل حمزة لسارة، زواج لم يتفوه بتلك الكلمة ولو علي سبيل

المزاح طوال فترة حبهما، دوما يغرقها في سيل من الكلمات المعسولة ، فيسجنها في ماضيه ، مستمتعا بحاضرها ، دون النظر لمستقبلها أو بالأحري مستقبلهما ، مما يشعرها بعدم الأمان ،و الإحساس بعدم الأمان مع من تحب كركوبك للقطار لا تعرف محطات وقوفه ، فينغص عليك الوقت سؤال عقيم، هل ستصل للوصول في نهاية الرحلة، أم أنك ضللت الطريق وستدفع ثمنا آخر للعودة.

تتفنن في خلق الأعذار له ، أعذار لا يقبلها عقل سوي عقل سلم سلطاته لقلب كقلب هاجر الذي شق صدرها وارتمي صاغرا تحت أقدام عماد.

كثيرا ماتوهمت أحاديث بينهما ، فتتحدث وترد علي نفسها بالعبارات التي تود سماعها منه ، بل تطور أمرها بأن تتحدثفي هاتفها ساعات طوال أمام صديقاتها عن التخطيط لمستقبلهما ورسم خارطة الطريق ، وهو في غالب الأمر يتوسد خارطته عازفا سيفونية " شخير" قوية، علها تتخلص من لومهن، وفي إحدي مكالماتها الوهمية كشف أمرها حيث رن هاتفها الذي سهيا عليها إخراس صوته كي يتستر علي جنانها ، لكنها استمرت في جنانها ، فهي تؤمن أن الجنون ركن من أركان الحب.

★★★

احتفلوا بخطوبة سارة وحمزة في مكان عام ،غنوا ورقصوا وقدموا الهدايا واكلوا الحلويات ، وقضوا يوما جميلا دافئا بعيداً عن برود المدينة الجامعية وقبل أن تدق الثامنة وصلن لحجرتهن الجامعية متعبات ، فكل منهن أرتمت في فراشها بملابس الخروج بعد أن أعادوا ما حدث في الحفل من مواقف عدا أميرة التي ذهبت للبالكونة للتفنط صيدها وتنسقه علي حسب جدول مواعيدها ، أمسكت هاتفها للتحدث إلي أول صيده ، صديق مقرب لحمزة "حاتم " ، وظروفه مشابهة لظروف حمزة ، طرحوه أرضا عينياها ، فطلب مساعدتها للوقوف علي قدميه ثانية ، لم يكن يعلم بأن كعب حذائها سيترك علاماته في قلبه الضعيف .

أنهت مكالماتها التي كانت بمثابة تفاحة كتفاحة آدم ، شهية الطعم ، وخيمة العواقب ، بل تزيد ، فتفاحة آدم تسببت في خروجه من الجنة ، أما تفاحتها تتسبب في الخروج من الجنة والدنيا معا .

تذكرت قول هاجر الدائم لها :إنتي أخطر علي الرجاله من الاحتلال يا أميرة، الاحتلال بيموتهم فيبقوا شهداء ويدخلوا الجنة ، لكن إنتِ هتدخليهم جهنم.

ابتسمت ابتسامة نصفها فرح والآخر ألم، ثم عادت لهاتفها لتستكمل قائمتها ، لاحظت وجودها سارة التي أيقظتها السعادة ، فجلست علي سريرها نصف جلسة وقالت مستنكرة: إنتِ مانمتيش لحد دلوقتي يا أميرة، داحنا صاحين بدري وعملنا

مجهـود كبـير ، ريحـي جسـمك شـويه.

أمـيرة: هاخلـص التليفـون اللـي في ايـدي وانام ، لسـه الليـل طويل.

نهضـت سـارة مـن فراشـها خلعـت ملابـس خروجهـا وارتـدت روبـا ثقيـلا واقتربـت منهـا، ربتـت علـي كتفهـا : حاولـي تجربـي فرحـة الاسـتقرار يـا أمـيرة، صـبي روحـك في إنـاء واحـد ، بـلاش تسسـتهكليها في أوانـي هشـه.

أميرة :أوني؟ أوني وأجيلك هههههه

يـا اختـي قولـي حلـل واخلصـي ، وبعديـن هـو فـين الأنـاء ده ، أديكـي شـايفه كلهـم قلـل بتكسـر مـن أول نظـرة.

سـارة: نـاس كتـير حواليكـي ، بيتمنولـك الرضـا وبيعرضـوا عليكـي الاسـتقرار ومسـتوياتهم كويسـه ، بـس إنـتِ اللـي مابتحبيش تشـوفي غـير دموعهـم .

: فـين دول ، تكونيـش تقصـدي جمـال اللـي بيقسـط الكارنيـه علي تـلات مـرات ولا حسـين اللـي بقالـه اربـع سـنين بنفـس القميص ؟

سـارة: هـم دول بـس اللـي انـتي تعرفيهـم؟ طـب ودكتـور ياسـر أسـتاذ الجامعـة المحـترم، اللـي قعدتـي ترسمـي عليـه دور البريئـه واول مـا وقـع دوسـتي عليـه.

: ياشيخه ده بيغير علي اللغة أكتر مني.

سارة: انتي بتنتقمي من مين يا أميرة ؟

وترها السؤال ولكنها تظاهرت باللامبالاة، فاكملت سارة : لو ماكنتش أعرفك كويس كنت قلت أنك حبيتي وانجرحتي وبتخلصي تارك ، لكن عارفه انك ماحبتيش وماتعرفيش تحبي أصلا .

أميرة : إيه ياسارة ، إنتِ عشان لبستي دبله جرامين هتعملي فيها عمرو خالد؟

سارة :وليه ماتقوليش إني عايزكي تجربي فرحتي ، فكري تاني يا أميرة وعيدي ترتيباتك.

قالتها بهدوء وذهبت لاستكمال نومها ، تاركة خلفها أميرة التي جلست علي أرض البالكونه كي لا يرأها أحد ، رفعت وجهها للسماء ، فسقطت دموعها ، تحدثت لنفسها بحديث لا تجرؤ أن تشارك فيه أحدا : بانتقم من نفسي ، طالما نفسي من نفسه ، يمكن يوصله الانتقام ، باشوف وشه علي كل الوشوش ، فباحاول أطهره بدموعهم ، أيوه كل الرجاله هو ، وهو كل القذارة، هو اللي اسمه شبك في اسمي ، فشبكت أنا في شبكته ، شبكته اللي بتستمتع بزفارة السمك أكتر من السمك نفسه .

تسرح مفتشة في دفتر ذكرياتها ، لتري له أحقر الصور وأوجعها علي الأطلاق ، صورته في أحضان جارتهم العجوز التي كفنت أنوثتها منذ زمن ،صورة محاولاته المستميتة مع الخادمة التي تصغرها بعامين ، صورة لفتوحاته الغرامية الحقيرة علي جهاز الكمبيوتر ، كثرت صورة فاختذلته في صورة واحدة،وهو يلهث

وراء كل ما يمت للأنوثة بصلة من قريب أو بعيد دون أدني اعتبار للأسرة التي اختار أن يكون لها راعيا ، كثيراً ماتمنت له الموت،فاليتم أقل وجعا من قسوة الوالدين، مؤلم جدا أن تتمني الموت لمن وهبك الحياة ، ولكن علي أمل أن يموت معاه الوجع والقهر اللذان وهبهما مع الحياة، صبت غضبها ايضا علي استسلام أمها بحجة أنها تحافظ علي البيت وتحرص علي مستقبلهم.

فأي بيت الذي سيقام علي عمود مائل؟!

وأي مستقبل الذي لطخ ماضيه وحاضره باللهث وراء الشهوات؟

، تلصق ظهرها بحائط البالكونة لتحتمي من وجع التفكير ، فيزيدها تفكيراً،تردد بصوت مسموع : " أميرة محمد طه" ، محمد طه عقوبة حكم عليا بها القدر دون ارتكابي أي تهمة أو ذنب ، فارتكبت الذنب لاستحق العقوبة ، وأقتل إحساسي بالظلم ، فالإحساس بالظلم أصعب من الإحساس بالذنب ، علي الأقل الذنب اقدر اوقفه طول ما أنا عايشه، لكن الظلم مش قادره اوقفه ولا قادره استحمله ، الظلم زي السرطان بالظبط ، حد بيورم علي حساب حد ، ايوه بيورم ، لأن الظلم مابيكبرش،و أنا مش هاسمح لحد يورم عليا ، تمسح دموعها :كل خياناته و قاذورته، أنا اللي هاورم بيهم علي الناس ، أنا اللي هاسرطن مش هاتسرطن، تردد بغضب :مش هاتسرطن.

أحضرت مكاسب بونات الأكل ، وقامت هاجر بتجهيزه ،والتف جميعهن حول مائدة صغيرة، يتناولن الغداء والحديث معا .

أميرة: مش هيتوب علينا ربنا من أكل المدينة اللي بيطبخوه برجليهم ده ؟

جهاد: أحمدي ربنا ، البنات في السكن الخاص بيكملوا عشاهم نوم .

هاجر: ما احنا بندفع دم قلبنا هنا ، مش عارفه فين الدعم ؟!

مكاسب: سيبك منهم يا جهاد، هو الشعب المصري كده يفضل يتبطر لحد ما يتنفض.

جهاد : المهم بكره أول رجب، كل سنة وانتوا طيبين، مين هتصوم معايا؟

سارة: صيام إيه في الحريقة دي ، الجو نار.

جهاد: ما إنتِ صومتي معايا السنه اللي عدت والجو كان أصعب من كده يا سارة.

تدخلت أميرة ساخرة: تلاقي كان عندها مشكلة ، أصل سارة مابتطلعش الشيخ اللي جواها اللي لما تقع في مشكلة.

ضحكوا وغضبت سارة: وإنتِ بقي دفنتي الشيخ اللي جواكي في أنهي مقبرة؟

أجابتها مكاسب: مادفنتوش، دي شقطته ومستنيه منه مكالمة بالليل.

تناثرت ضحكاتهم ، فردت أميرة : بتعرفي تألشي يا مكاسب ، لا وعليا أنا ، داأنا لو جمعت المواقف اللي بتعمليها وحطتها في كتاب هيبجيب أعلي إيردات.

مكاسب: ياسلام ، طب زي إيه؟

أميرة: زي يوم ماروحت معاكي عند دكتور الأسنان ، سألك خلعتي ضرسك أمتي ، قلتِ يوم ما عملنا الكِشك.

انفجرا ضحكات وعلقت هاجر : إيه الكِشك ده يا مكاسب؟

مكاسب التي ضحكت معهم من قلبها وكأن الكلام لا يخصها: دي حاجه كده بنعملها من القمح واللبن ، الأجازة الجايه أبقي أجبلكم معايا شويه.

أميرة : أكمل ولا بلاش يا مكاسب؟

مكاسب: كملي ، ما أحنا المادة الخام للنكت والسخرية بتاعتكم ، كل ما تتزنقوا تقولوا مرة واحد صعيدي .

أميرة: طب وحياة ربنا كلام النكت قليل عليكم ، دانا شوفت منكم مواقف تجيب تشنج من الضحك، دا أنا كان ليا صديق صعيدي ، لقيته بيبص علي بنتين بحسرة وشفقة أوي ، سألته ، في إيه، قال لي شايفه البنات زي العسل وفي عز شبابهم

وطرش، قلت له عرفت إزاي؟

قال لي بعصبية مش شايفه السماعات اللي اللي لابسنها في ودانهم ، بابص لقيتهم حطين سماعات بلوتوث.

ضحكوا حتي كادت أن تقف قلوبهن ، فضافت جهاد : بس جدعان وكرمه جدا.

مكاسب: ده كان زمان ، دلوقتي مفيش الكلام ده.

أميرة: لا الحق حق يا مكاسب الكرم عندكم شئ أساسي ، ده نفس الولد كان بيعزمني يوميا علي أنضف أكل.

مكاسب: كرم مات مخنوق يابنتي ، لسه الأسبوع اللي فات عيلتين مات منهم تلات أفراد عشان جاموسه الحاج محمد أكلت شويه ربيع من زرعة الحاج أحمد وتقوليلي كرم.

أميرة: ده مش بخل ، دي عصبية وخشومية.

هاجر : غريبة يا مكاسب أول مرة اشوف حد صعيدي بيذم في الصعايده ، ويكره الصعيد، أنا ليا قرايب صعايده كرمه وجدعان ومتفتحين جدا ولبسهم راقي جدا .

مكاسب: الصعيد زيه زي أي مكان فيه الجدع والندل وفيه الراقي والغير وموضوع الجدعنه والكرم ده شويه في القري عشان الناس وشها في وش بعض لكن المدن هناك مش كده خالص.

جهاد : طب كفايه راغي بقي وكلوا عشان نلحق نذاكر شويه.

تحدثت مكاسب بعد صمت وكأنها تذكرت شيئا مهما: أنا مش باكره الصعيد ، أنا باقسي عليه عشان هو قاسي علينا قوي.

★★★

دقت الامتحانات الأبواب فاختبأوا منها خلف دروع الغش المختلفة ، فعقولهن لم يعد بها مكان لاستقبال العلم ، وكان بدا من النجاح ، النجاح الظاهري الذي يحترمه المجتمع وتعترف به الوظائف، فتفننوا في ابتكار وسائل غش مختلفة ، تحقق لهن النجاح بل تجلب لهن التقديرات العالية.

استيقظت مكاسب من نومها لتري سارة تركب أظافر صناعية علي أظافر يدها وتضيف عليها إجابات لأسئلة متوقعة في الامتحان مكتوبة بخط دقيق جدا ، فحدقت مندهشة: إنتي بتعملي إيه؟

ردت جهاد: بتغش يا ستي ، ناسيه إن سيدنا النبي قال" من غشنا فليس منا" .

ردت سارة: وإنتي ناسيه إن ربنا قال " لا يكلف الله نفسا إلا وسعها" .وزي ما أنتوا شايفين مشغولة ومعنديش وقت

جهاد مستغفرة: إنتِ كمان هتحوري علي كلام ربنا؟

تستكمل سارة عملها بدقة وتشيح في بوجهها.

مكاسب: أنا دايما بانخدع فيكي يا سارة، وتكمل ساخرة: بس لازم تعذريها ياجهاد، هي فعلا معندهاش وقت ، طول النهار

خروجات مع حمزة وبتيجي تكمل بالليل في التليفون ، هتتقطع يعني

تدخلت أميرة الواقفه أمام المرآة أكثر من نصف الساعة لترسم الحجاب علي رأسها رسما : أوعي تقولي انك مابتغشيش يا مكاسب ؟

مكاسب : بغش طبعا ، بس مش بطرقكم دي.

تزحمت ضحكاتهن في وسط نظرات ضيق من جهاد.

سارة: امال بتغشي أزاي بقي يا منخدعه؟

مكاسب: باروح بدري نص ساعة ,وأكتب علي الحيطة.

أميرة: ده كان أيام الكلاس يافالحه المدرج مفهوش الكلام ده.

التفتت مكاسب نحوها لتسألها عن طريقة أخري فانتبهت لحجابها : إنتِ اتحجبتِ يا أميرة ولا إيه؟، أوعي يكون الشيخ اللي جواكي بيطلع أيام الامتحانات.

اميرة: لا ، اطمني ده لزوم سماعة البلوتوث .

مكاسب: ماشاء الله ، داأنتوا محترفين بقي.

أميرة: الأحتراف اللي بجد كان علي أيام الواد طارق ، كانت مبعوتاله حته نضارة طبية عاديه فيها عدسات وكل حاجه، وفي نصها كاميرة فيديو ، مش أي حد يشوفها وفي آخرها كده عند الودان سماعة لاسلكية بلون الجلد الطبيعي

، مش أي حد يشوفها برضه، كنت أقرأ السؤال من هنا والكاميرا تنقل مباشر من هنا ،وطارق يبقي مستني في البيت قدام الكمبيوتر ، فيقوم بالبحث عن إجابة السؤال اللي قريته ويملي الإجابة بالميكرفون ، فتوصل لي بالسماعة اللي في النضارة ، وخلصت،كانت أيام، ربع ساعة وأقفل أجدع مادة .

مكاسب: طب وراح فين الكنز ده.

أميرة: زحلقته ، واد نسوانجي وعينه فارغه.

تضحك مكاسب : لا ،صاحبة مبدأ ، ثم نظرت لهاجر التي امتنعت عن مشاركتهن في الحديث وامسكت بكتاب تقلب صفحاته هباء ، وتتابع هاتفها بعيون شارده ، سألتها: وانتي يا هاجر مش بتغشي زينا؟!

تجيبها سارة بسخرية: علي حسب عماد لو قالها غشي هتغش ، لو قالها اسقطي هتسقط برضه عادي .

لم تلتفت لكلمات سارة وكأنها موجوده وسطهن بجسدها فقط.

★★★

علي عكس العرائس تطايرت فرحتها باقتراب موعد زفافها ، حيث قبلت بأشياء لا تقبل بها أرملة، بخثت كبضاعة مبخوثه وطالت بختتها فستان زفافها الذي اختارته رغما عنها أم حمزة مسترخصة ومستحقرة علة يظهر مدي حقارتها لتشفي

غليلها ، فهي تدرك تماما أن فستان الزفاف لدي العروس أهم من العريس نفسه، حاولت سلب فرحتها بكل شئ ، كما فعلت بها هي من قبل ، فلن تنسي بأنها حرمتها من اختيار عروس جميلة وملتزمة من عائلة كبيرة تضاهي عائلتهم ، ولن تغفر لها نصبها واحتيالها وطمعها في أموال حمزة ، حيث بلغها مجهول بكذبة الحمل ، فأخذتها عنوة للطبيب وتأكدت من كذبها ، وبذلك أصبحت كل شكوكها في موضعها ، وودت أن تتخلص منها ولكنها فشلت أمام توسلات حمزة وتهديداته الانتحارية، فقررت أن تحول مراسم عرسها إلي مراسم عزاء ، وهذا أقل شئ يطفئ النار المشتعلة داخلها، والباقية تاتي.

★★★

أخذت تذهب وتجئ في الغرفة بتوتر وضيق جعلها تعض علي يدها ، لاعنه كل ما يمت لأم حمزة بصلة.

أمسكت هاجر بذراعها : ما تهدي يا سارة ، دوختيني معاكي وإنتِ هيجرالك حاجه.

: اهدي ، اهدي إزاي، عمرك شوفتي واحدة تمتحن وتتجوز في يوم واحد، أنا هاتجوز يوم امتحاني شوفتي جبروت الوليه وصل لحد فين، لا وعاملهالي مفأجاة بنت الكلب.

ضحكوا جميعا وقالت هاجر: عادي يا سارة امتحني الصبح واتجوزي بالليل، وإنتِ وحمزة واخدين علي بعض وهتقدروا

وبعديـن ده آخـر يـوم امتحـان يعـني.

سـارة: آخر يـوم ! دي معظـم أيـام الامتحانـات أضربـت ومش عارفه اشـتري جهـازي وخليـت النـاس الغريبـه تشـتري لـي حاجـتي .

مكاسـب: دي سـت مفتريـه مـش قـادرة تسـتني أسـبوع كمـان ، لـو مـش خايفـه عليكـي تخـاف علـي ابنهـا اللـي بيمتحـن، وحمـزة إزاي يوافـق علـي كـده، ليـه مايوافقـش في وشـها.

سارة: هيقف في وشها علي إيه ولا إيه، ربنا ياخدها.

تـترك أمـيرة هاتفهـا وتتدخـل في الحـوار: إيـه الأوفـر ده يـا سـارة ، إنـتِ كـده كـده مـش بتذاكـري كلـه بالغـش والفـرح علـي الضيـق ومفيـش معازيـم وبعديـن انـتي مـش كنـتي هتموتـي وتطلعـي مـن بيـت اهلـك ، أول مـا تجيلـك الفرصـة تنكـدي علـي نفسـك وخـلاص ، أفرحـي يـا شـيخه بـلا هـم.

سـارة بغـل : طبعـا ، مـا إنـت ِمـش لاقيـه لـي جحيـم اولـع فيـه، عشـان تطفـي نـار الغـيرة اللـي فيكـي ، مـش قـادرة تنسـي إنـك الأمـيرة اللـي في المقدمـة في كل حاجـه.

فتحـت أمـيرة ثغرهامندهشـة: مقدمـة ومؤخـرة إيـه يـا سـارة ، أنـا مـش فاهمـه حاجـه.

سـارة: إنـتِ فاكرنـي واحـد مـن العيـال اللـي بتمثلـي عليهـم ، لا أنـا فهماكـي أكـتر مـن نفسـك، وعايـزه افهمـك حاجـه،

أنا وحمزة واحد صحيح مش هيتقسم أبدا ، مهما حصل ومهما عملتي ، واديكي شوفتي اتحدي أهله كلهم علشاني.

ضربت أميرة كف علي الآخر: يا بنتي قولي اللي عندك وفكك من الألغاز دي، قولي في إيه؟

سارة: فيه إنك مش كد الصداقة ولا العيش والملح ، روحتي لأم حمزة وقولتيلها علي كدبه الحمل عشان توقعيني وما اسبقكيش في حاجه.

ولدت دمعة في عيون أميرة، ولأول مرة يعجز لسانها عن الكلام ، صمتت لتسقط دمعتها وبصوت مهزوم قالت: بس، كفايه لحد هنا يا سارة ، مادام شكيتي في صدقي معاكي ، وأصدرتي قرارتك علي الشك يبقي دي نهايتنا، بس عايزه أفكرك إني لو عايزه اوقعك مكنتش خرجتك من المشكلة في الأول.

لم تتحمل الجلوس معها في غرفة واحدة ، فارتدت عباءتها السوداء ورمتها بنظرة عتاب ثم خرجت.

نفخت سارة: أنا اللي مش أعرفها تاني ، دي مافيش فايده فيها، عمرها ماهتنضف، دي لو طالت تظبط حمزة هتظبطه.

مكاسب: أول مرة اشوف أميرة مقهورة كده وده دليل إنها مظلومة ، اتأكدي الأول يا سارة ، إن بعض الظن إثم.

تعصبت سارة: أتاكد من إيه، هو فيه حد يعرف أم حمزة غيرها، افتكرتها صاحبتي وخدتها معايا مرة واتنين ، وحمزة

قال لي أن اللي قالت لأمه بنت معايا في الجامعة ، يبقي هي مافيش غيرها ، بس معلش مش بيقولوا الصداقة المزورة زي الفلوس المزورة ماتتعرفش الإ عند التعامل ، وهي طول عمرها مزورة.

★★★

صمتت هاجر صمتا قاتل لتتحسس تلك البطحة التي علي رأسها، فهي المزورة الحقيقة لا أميرة، حيث يذكرها نجاح الآخرين بفشلها، تتساءل بائسة عما يميز سارة عنها ليحبها حمزة بهذا الشكل ، حتي في تساؤلاتها ، ترفع عنه المسؤلية وترهق نفسها ، فلماذا لا تسأل عن ما يميز حمزة عنه ليفي بوعده لهذا الحد؟

حمزة وسارة أول زيجة عرفية تعرفها تتحول لزواج شرعي يغمره الحب والاستقرار ، حركها الحقد لمنعها وفشلت محاولاتها أمام رجل أحب فصدق ، تتنهد تنهيدة طويلة ، الليلة سيزاد علي عذابها بحبها الأعراج بعذاب تأنيب الضمير، وما أثقل الليل علي المذنب وما أطوله علي المحب ، قطع صمتها الظاهر وحديثها الخفي رنين هاتفها ،ردت ببرود ليصل إليها صوت أمها تطمئن عليها وتوصيها :اشربي و كلي كويس يا هاجر، اتغطي وكتري الغطا ، الدنيا بتبرد بالليل

تأملت كلماتها لتتساءل: ليه دايما أمهاتنا بتوصينا بالأكل والشرب والغطا، ليه مش بيقولوا : حبي كويس ،أختاري كويس، غطي روحك بحد يستاهل ، حقيقي الأكل والشرب

مصدر الحياة ، لكن الحب روح الحياة ولأن حياتنا مهمة بالنسبة لهم مش لازم نكون أحياء بالجسد ، وأرواحنا ميته ، بعد تأملاتها ردت بكلمات مقتضبة باردة: حاضر،ماشي.

لتقلق الأم: إنتي لسه بتتوهي والكلام بيوصلك متأخر يا هاجر، لازم تكشفي ، أبوكي هيحجزلك عند أكبر دكتور في مصر .

وددت أن تقول: أن مرضها لا طبيب له إلا هو ،وهو يبخل عليها بالعلاج، لكنها قالت مسرعة:اطمني يا أمي،أنا كويسه،ده ضغط امتحانات بس.

★★★

هامت في عباءتها السوداء حتي وصلت للنيل ،ودت أن تشكو له جروحها ، لكنها لم تفعل ، فهي لم تعتد الشكوي ولم تطرق بابها يوما فهي تؤمن بأن الشكوي لغير الله مذلة ، و"بالشكوي تزاد الطينه بله"، اكتفت بالنظر لانعكاس وجه السماء في بطن النيل ،فظهرت لها صورة أبيها مع فتاة ليل رغم وضوح النهار، غضبت وكادت أن تبصق عليها ولكنها تراجعت أمام نظرات المارة، أعطتهما ظهرها و نظرت للشارع بسخف ، لم تسلم من معاكسات أشباه الرجال ولا لمضايقتهم لأي أنثي عابرة، لكن لا يهم ، فهي تنتقم منهم بطريقتها ، وتعرف كيف تجعل كل من يعرفها لا يلتفت لأنثي بعدها، اقترب منها عجوز متسول أطلق لحيته مرتديا

ثيابا مهلهلة، دعا لها قاصدا صدقة، وبرغم كرهها للمتسولين حيث تري فيهم إحترافية النصب والسرقة والكذب،إن لم يكن فيهم ،فمن المسؤلين عنهم، فهي تري أنه كلما زاد عدد المتسولين زادت أموال المسئولين ، إلا أنها رقت له علة في ضيقة تشبه ضيقتها فاعطته بعض ما في محفظتها، رفع صوته بالدعاء لها: ربنا يريح بالك يابنتي ويطمنك.

ردت بلامبالاه: بالي مش هيرتاح طول ما أنا باشيل غلطات مش بتاعتي.

ربت علي كتفها بلين: ماتدوريش علي غلطات ، دوري علي العلاج يابنتي، كلنا بنشيل بعض الغلط.

ردت: أحيانا بيكون علاج الغلط غلط يا حج

: لا يا بنتي ، الغلط عمره ما كان علاج.

أنهت حديثها مع الرجل بسرعة عندما لمحت شبح حاتم قادما من بعيد ، حاولت الهرب منه ، لا تريد أن يراها بالعباءة السوداء تلك، مثلها مثل البائعات دون مكياج ، لأول مرة في حياتها الجامعية تخرج بدون مكياج ، فتظهر بوضوح بشرتها الخمرية التي تكرهها وتكره المقولة الكاذبة :بأن السمار نصف الجمال، فالبياض هو النصف الحقيقي للجمال ،هكذا تعتقد .

فشلت محاولاتها حيث لمحها وهي تمد بخطوات مسرعة فنادي باسمها ، وقفت علي مضض، رحبت بسلام بارد

وكلمات مقتضبة لا تخلو من رائحة الهروب، مختلقة الأعذار كي تتخلص من المقابلة في أسرع وقت حتي لا يتمكن من رؤية تفاصيلها، فما أثقلها علي الأنثي حينما يراها أحدا يهمها أمره بملابس لا ترضي عنها ، أختلقت الأعذار وذهبت لاعنة الصدف التي لا تخدم أصحابها.

★★★

تغاضت عن ضياع فرحتها ، وامتلكت العالم بامتلاكها شقة خاصة بها مع رجل يحبها، وتشعر بانها تحبه منذ لحظة ميلادها ، اليوم ستتذوق طعم الحرية ، ستفعل كل شيئ علي راحتها ، تستيقظ وقتما تريد وتسهر كما يحلو لها ، وتخرج في أي وقت ، اليوم ستودع العبودية والعزوبية معا.

كانت تعتقد أن الحريه في الزواج!

★★★

هاجر: يا بختك يا سارة يابنت المحظوظه مقفول عليكي باب مع حد بيحبك وبتحبيه.

أميرة بغل : لا وإيه باب شقة معتبرة في الزمالك ، مكان ماكنتش تحلم تبيع فيه ترمس.

مكاسب: تفتكروا هيتغدوا إيه دلوقت ؟

ضحكوا فقالت

جهاد : بارك الله لهما وفيهما، وكفاهم شر الحقد والحسد.

أميرة: لا ،في النقطة دي بالذات لازم نحقد ونحسد ، مش كفايه أننا هنترزع في البيت لحد السنة الدراسية ما تبدأ وبعدين نرجع المدينة تاني وهلم جرا وهي هتقضيها خروجات وفسح .

هاجر: عندك حق ، أنا نفسي اعمل حاجه جديدة، أسافر مكان مختلف ،أحضر فرح ،جنازة أي حاجه تكسر الروتين ده.

جهاد: كلنا كده ، حتي سارة محضرناش فرحها ولا شفناها بفستان الفرح.

مكاسب: طب ماتيجوا معايا تحضروا فرح أخويا واعملكموا جولة في الصعيد.

اميرة: أنا دايسه معاكي.

هاجر: وأنا كمان.

مكاسب: وإنتِ يا جهاد ،إيه رأيك؟

جهاد: هاستأذن ماما وبابا وأرد عليكي.

تضربها أميرة في كتفها: لازم تفصلينا بجملك دي ياجهاد ، بتحسسيني أننا أولاد شوارع.

ضحكوا بصوت عال ، فقالت مكاسب: لا بجد ،اتفقوا كده عشان الفرح بعد الامتحانات علي طول ولازم تيجوا كلكم.

★★★

أعادت علي مسمعها جملة جهاد " أستاذن بابا وماما" ، تذكرت أن طول فترة حياتها لم تستئذن من والدها في شئ ، فقد اقتصره عقلها الباطن في شخص يمدها بشيئين مهمين ، المال والعهر.

في تلك المرة قررت أن تفعل، لا تدري ما السبب ، عادت للبيت،سألت عنه علي غير عادتها ،وعلي عادته هو يتحدث في الهاتف ، رمت بحقيبة ملابسها ونظرت لأمها نظرة عتاب ممزوج بالدموع ثم دخلت غرفتها، دخلت خلفها الأم تتحرش بها في الكلام : أحضرلك الأكل يا أميرة؟

تجاهلت سؤالها قائلة:عارفه يا ماما البنات بيستغربوا لما يعرفوا إني من القاهرة وجايبه واسطه عشان اسكن مدينة ،أنا بقول لهم إني ماباحبش المواصلات بس الحقيقة، أنا مابطقش أقعد في البيت ساعة واحدة.

الأم: أحمدي ربنا يا أميرة، ركزي في حياتك وبلاش غلطة صغيرة تنسيكي نعمة كبيرة.

تخلت عن هدوئها وأدبها ساخرة: غلطة وصغيرة؟ تعرفي الغلطة اللي بجد حضرتك مش هو ، ضعفك ، سكوتك ،سلبياتك

،إرادتك المشلولة، تقدري تقولي لي ازاي تبقي عارفه إنه مع حد غيرك ،وتبقي معاه عادي؟

ليه تقبلي علي نفسك الإهانات دي؟!

ردت الأم بصوت مخنوق بالدموع :عارفه ليه أنا قابله الإهانه،عشان إنتي واخواتك ماتكلوش من تحت إيد واحده غريبة ،عشان تلاقوا واحدة تكنس وتنضف وتطبطب وتحايل، عشان لما يجي لك عريس مامته ماتقولش لا دي مامتها مطلقة ، عشان الجيران مايطمعوش فيكي ويقولوا من غير أم ، مسحت دموعها: عشان حاجات كتير مش هتفهميها دلوقت.

أميرة: وإنتِ فين من ده كله، حياتك ،كيانك؟

: أنا نصيبي كده، وراضيه بنصيبي ، وكفايه أكون جمبكم وربنا يعوضني فيكم.

قبلت يدها وارتمت في حضنها باكية، دخل عليهما والدها مندهشا : في إيه يا أميرة،جيتي قبل الخميس يعني؟

خرجت الأم ووقفت أميرة مكانها دون إجابة واكتفت بالنظر في عينيه.

: متنحه ليه يابت كده؟

تمنت مواجهته ولكن حشر الكلام في حنجرتها،فما أصعب المواجهة حينما تكون من بنت لأبيها، فقالت بصوت منخفض:عايزه فلوس .

نظر في هاتفه ليقرأ نص رسالة قائلا: عندك في الدولاب.

عـادت أمـيرة إلـي غرفتهـا الجامعيـة، فوجـدت جهـاد تبكـي علـي سـجادة الصـلاة ، جـرت نحوهـا :خـير ياجهـاد ،في إيـه؟

مسحت دموعها: اشتقت لرؤية حبيبي.

أمـيرة: أيـوه بقـي، احكيلي مـين ده، وإيه ظروفه، يمكن أسـاعدك.

جهاد بخشوع: وهل لي حبيب سواه ،رب العزة في سماه.

: اسـتغفر الله العظيـم، حيـاة أبوكـي بـلاش جـو رابعـة العدويـة ده ، مـش ناقصـة ذنـوب، ثـم تقـف لتخلـع ملابسـها : عارفـه يـا جهـاد، إنـتِ الوحيـدة اللـي ينفـع اقـول عليهـا مـش عايشـه معانـا علـي الكوكـب، الكوكـب كلـه خـراب، إنـتي جبـتي العمـار اللـي جواكـي ده منـين؟

ابتسـمت جهاد: الكوكـب مـا ينفعـش يخـرب وربنـا موجـود، العمـار حواليكـي في كل مـكان ، بـس إنـت ِقـرري تشـوفيه.

أمـيرة: قولـي لـي ياجهـاد، إنـتِ عنـدك مشـاكل زينـا ، حاجـات بتنغـص عليكـي حياتـك يعـني؟

: أكيد مش بشر زيكم.

: وبتعملي إيه؟

: واستعينوا بالصبر والصلاة.

حكـت أمـيرة رأسـها: أيوه بس الصبر مـر، واغلبنا بيقصر في الصلاة.

: ادعي ربنا يثبتك علي الصح واستغفري ، ربنا عالم بحالنا وعالم بمشاكلنا ، "لقد خلقنا الإنسان في كبد"يعني طول ما احنا عايشين هنكابد وننتعب، المهم القوي اللي يتغلب علي مشاكله ويعيش دنيته بما يرضي الله.

أميرة صائحة: أيوه الله عليكي ، احنا طول الوقت بنكابد ، أكيد ربنا هيغفرلنا صح .

تلتفت لهاتفها وتستاذن للرد علي مكالمة.

★★★

غارت من تألقها الفراشات، وغارت من وداعته العصافير ، أمسك يدها ، فضغطت علي يده بشدة ، وكأنها تستوعب وجوده الدائم معاها، فهم شعورها فابتسم ، سحبها نحو البحر، تعالت الأمواج والضحكات معا، صرخت : أنا مابعرفش أعوم يا حمزة، رد مازحا: ولا أنا.

ثم حاملها علي ظهره فتشبثت به حتي صارت جزءا منه، قضيا نهارهما في البحر وعلي الشط ولم يشعرا بالوقت حتي جاءهما القمر متسللا علي استحياء ، واستقبلاه بالحب والمزاح حيث قال:تعرفي إن قمر اسكندرية غير أي قمر.

ضحكت : ليه بقي؟

حمزة بجدية: عشان فيه حته وقعت منه علي الأرض.

اصطنعت الجدية : هي فين؟

أشار عليها : أهي.

ضحكا وتعالت الامواج من جديد.

★★★

انتهت رحلتهن في قطار الصعيد بعد مزاح وعناء طويلين ، ثم تنقلن بين سيارات الأجرة حتي أخر سيارة حملتهن إلي قرية مكاسب ، جمعت مكاسب منهن الأجرة وهمت بدفعها للسائق ، فإذا بصوت غليظ يأتي من خلفهن ليثقب طبلة أذنهن: وصلت يا عبد العاطي.

انزعجن من قوة صوته وردت مكاسب: شكرا ، مرة تاني.

كررها بصوت ممتلئا بالتهديد : قولت لك وصلت يا عبد العاطي.

نظروا خلفهن تلك المرة ليروا رجلا أربعينيا، أحرقته شمس الصعيد ،واستولي شاربه الكثيف علي نصف وجه المتلئ.

أمسكت أميرة في يد مكاسب: مين ده ومين عبد العاطي اللي بيندہ عليه ،اوعي يكون اسم الدلع بتاعك.

ابتسمت مكاسب: ده ابن واد عم أبويا ، هيدفع لنا الأجرة وبيندهني باسم عبد العاطي أخويا عشان الناس الغريبه ماتعرفش اسمي.

أميرة : ابن واد عم أبوكي أنتِ ، هيدفعلنا أحنا ليه؟!

مكاسب: انتوا ضيوفي ماينفعش يدفعلي ويسيبكم.

جهاد : بس كده حرام ده شكله راجل بسيط.

مكاسب: هي الأصول عندنا كده.

التفت أميرة خلفها للرجل وابتسمت قائلة: شكلنا هنقضي يومين عنب. لكزتها مكاسب محذرة: يخرب بيتك ،هتفضحيني، انتي هتشقطي هنا كمان ،الناس هنا عارفه بعضها .

انطلقت السيارة وحاولت مكاسب السيطرة علي ضحكهن ولمزهن حتي وصلن لمدخل البلد.

مكاسب: يلا يابنات هننزل هنا ، تبعتها ويسرن في طريق ملتو غير " مرصوف" وسط الزرع ، فقالت جهاد: ما شاء الله علي جمال الطبيعة والهواء النقي شئ مبهج أفتقدناه في المدن، انتهت من جملتها ودخلوا في شارع فرعي لينهال عليهن دخان كثيف غطي صدورهن وامتلأت أنوفهن برئحته ، فتنحنحن محاولات أخذ أنفسهن بصعوبة وتراجعن للخلف ، قالت أميرة وهي تتشبث بعمليتي الشهيق والزفير: الحقي يا مكاسب بلدكم بتولع.

ضحكت مكاسب وهي تتنحنح لتطرد رائحة الدخان : ماتخافوش ده الفلاحين بيحرقوا بوص الدره.

سدت هاجر أنفها ليخرج صوتها أخنف: نعم يا اختي ، وجمال الطبيعة والهواء النقي بتولعوا فيه كده عادي؟

مكاسب: ده أيام محصول الدره بس ، الناس مابتلقيش فايده من البوص فبيحرقوه ولإنه أخضر ، فدخانه صعب شويه.

أميرة: يخرب بيتكوا ، دا انتوا اللي خرقتوا طبقة الأزون بقي، الحكومة فين في ده كله ؟

مكاسب باستهزاء: حكومة إيه يا بنتي، هي الحكومة تعرف عننا حاجه.

وقفت جهاد في وسط الطريق : أنا مش قادرة أمشي ،مش قادرة اتنفس ، جالي اختناق.

أخذت مكاسب بيدها : خلاص وصلنا البيت علي آخر الشارع .

★★★

وصلوا ليروا بيتاً كبيراً ملوناً بألوان زاهية محاطاً بالزرع من ثلاثة نواحٍ.

فقالت أميرة: أخيرا وصلنا ، يلا خلي أمك تعمل لنا سندوتشات بسرعة ، ليفزعها صوت : يا مرحب ، نورتوا الصعيد يا أبلاوت.

أشارت عليه مكاسب: سلموا علي ابويا يابنات .

،رجل خمسيني بعينين جاحظتين وشارب رفيع يتفق مع الأسانسير في حجمه ، هربت بشرته من شمس الصعيد ، يرتدي جلبابا بلدياً وعلي رأسه عمامة كبيرة تشبة قبة

مسجد، خرجت علي صوته أم مكاسب في عباءتها السوداء وحجابها الأسود الذي وضعته علي رأسها دون قيود ، رحبت بهن علي طريقتها حيث أمسكت بكل واحدة علي حدة لتضع خمس قبلات لازجة علي خدودهن، همست أميرة في أذن مكاسب : أمك بتبوس ولا بتلزق طابع بوصته؟

ضحكت مكاسب وقالت لأمها : كفايه يا اما وحضري لنا الأكل.

★★★

تناولن الغداء وشربن شاياً ثقيلا ، وسألت أميرة : هو الفرح أمتي يا مكاسب؟

: بعد بكره.

أميرة: أنا لسه هاستنا يومين ، أنا زهقت من دلوقتي .

ضحكت مكاسب: طب تعالوا افرجكم علي بيتنا واعرفكم علي الجيران.

كان بيت مكاسب يتكون من طابقين ،الطابق الأول به مقعد كبير للضيوف فيه ثمانية مقاعد منجدة ومفروش بسجادة كبيرة متواضعة ، أما الغرف فكانت واسعة تتراوح مساحتها ٤×٦ أمتار وذات أسقف عالية ،مدهونة ب"بوهيه " متواضعة تحوي أثاثا قديما ومكسراً يبدو أنه عفش الزوجيه الخاص بوالدي مكاسب.

لم تسلم مكاسب من تعليقات أميرة: دي أوض ولا استاد كورة يا مكاسب؟

مكاسب: زي ما أنتِ شايفه ، الدنيا حوالينا وسع فبنوسع علي نفسنا، تعالوا أعرفكم علي بيت عمي.

جهاد معتذرة: خليها بكره ، أنا مرهقة جدا.

مكاسب: بكره الحنة، وعبد العاطي اخويا هيرجع من السفرو...

تقاطعها أميرة: ثانية واحدة، مش عبد العاطي ده العريس؟

مكاسب: أيوه.

أميرة: وسايب فرحه ومسافر ؟

مكاسب: يا بنتي ده مسافر من سنتين بيشتغل، ده حتي ماشفش عروسته غير في الصور.

أميرة: وتاعب نفسه ونازل علي الحنة ليه ، كان اتجوز الصورة احسن.

★★★

دقت السادسة صباحا، فإذ بطرقات شديدة ومتكررة علي باب غرفتهن ،فزعن من نومهن وردت مكاسب بهدوء: خلاص وعادت لنومها ، هزتها هاجر: قومي شوفي مين.

مكاسب: دي أمي جايه تصحينا ، معلش اصل احنا متعودين نصحي بدري نقضي مصالحنا وننام في الضهرية.

أميرة: دي جايه تقبض علينا مش تصحينا، اطلعي عقليها وقوليلها أننا بنسيب امتحان الساعة ٨عشان مانصحاش بدري.

★★★

ذبحت الذبيحة يوم الحنة وصرخ المزمار حتي الثانية عشرة مساء بحضور الأهل والأحباب من الرجال، فالاحتفال بالحنة مقصور علي الرجال فقط، مارسوا طقوس الفرح لديهم من ضرب الرصاص والرقص بالعصا، في حين مكثت النساء في الداخل ،يرسمن الحنة علي كفوفهن ويتبادلن الزغاريد، حتي زحفت الليلة الكبيرة واستبدل المزمار بال "دي جي" ،وازدحم الحضور رجالا ونساء في ساحة حضراء خلف منزل مكاسب.

جلست مكاسب وسط صديقاتها يتبادلن الحديث والمزاح،وإذ بطفلة لا تتعدي الخامسة عشرة، لكنها بملامح عجوز حيث كحلت عينيها بغبار السنين وصِبغت شفتيها بزرقة الأيام ، اقتربت من أميرة بنظرات أعجاب: الله، عنيكي حلوين قوي.

تلك الجملة التي تسببت في غرور أميرة المطلق وسعادتها أيضا ،فبها تطمئن علي مدي صلاحيتها.

ردت بثقة: ميرسي ياقمر، فأكملت الطفلة: وشعرك كمان حلو ،ولبسك ، كل حاجه فيكي عسل.

مزحت مكاسب: بس يا أم الزين ماتنفخهاش كده ، ده كله

مكياج ،لو غسلت وشها هتبقي شبه عطية النجار.

سألت أميرة مستغربة: أم الزين، اسمك أم الزين؟

ابتسمت وردت بخزي : الزين ده ولدي ، اروح أشوفه.

علقت هاجر: بجد يا مكاسب دي متجوزة ومخلفة.

مكاسب: ايوه ،بس لسوء حظها ،جوزها مات بعد جوازها بشهرين ، ولأن سنها صغير كتبوا لها عرفي ولما ولدت ماكانوش عارفين يكتبوا الواد باسم مين، وفي الأخر كتبوه باسم أبوها هي.

تتأفف أميرة: أنتِ معندكيش قرايب شباب خلاص يا مكاسب ، الفرح كله ستات وعواجيز.

مكاسب : عندي طبعا ولاد عمي تلاته وعايشين في فيلا.

أميرة: فين؟ ، مش شايفه حد يدل علي فيلا خالص.

مكاسب: في الكويت.

أميرة: مفيش غيرهم؟

مكاسب: فيه ولاد عمي التاني واحد مهندس وواحد مدرس.

أميرة: ايوه بقي ، موجودين في الفرح؟

: لا في الكويت برضه.

تقز علي أسنانها : قرايبك اللي مش في الكويت يا مكاسب ، عندك؟

: ايـوه طبعـا ولاد خالـتي ، متدينـين ومخلصـين جامعـة.
أمـيرة: ايـوه كـده ، عرفيني عليهم عشـان اهوي عن نفسـي شـويه.

: لا هما في السعوديه ، اصلهم متدينين و...

قبـل إتمـام جملتهـا ، خلعـت أمـيرة حقيبتهـا لتهشـم بهـا رأسـها لاعنـة أقاربهـا وفرحهـم.

★★★

أشـارت جهـاد علـي امـرأة تقـف في نافـذة البيـت المقابـل لبيـت مكاسـب، وتتابـع الفـرح بشـغف واهتمـام، : مـين دي يا مكاسـب ؟

:دي عمتي مكاسب من غلاوتها علي أبويا سماني علي اسمها.

:طب ليه مجتش الفرح بدل ما هي واقفه كده؟

:متخاصمـه مـع أبويـا بسـب الورث،دماغهـا ناشـفه مصـرة تاخـد حقهـا أرض وأبويـا دماغـه أنشـف، مسـتحيل يفـرط في شـبر مـن أرض بيـت أبـو هطلـة لجوزهـا الغريـب.

التفتـت أميرة:واحـدة واحدة كده فهميني، مين بيت أبو هطله دول؟

مكاسب: عيلتنا.

أمـيرة: وابـو هطله مـش عايز يدي أخته حقها اللي شـرعه ربنا ليه؟

مكاسب: ، لأن الأرض للرجاله، ماتنفعش تورثها الحريم.

أميرة: وليه الحريم ماتخدش حقها في المحاكم؟

مكاسب: ولا ألف محكمة تقدر تفرق زراعه من صاحبها وتديها لغريب يزرعها.

قطع كلامهن ضرب الرصاص وصوت مزمار السيارت الذي أعلن عن وصول العروسين، ، استقبلهما الحضور بفرح وسعادة ظهرت في رقصهم وغنائهم حتي انتهي الفرح.

★★★

قطعت عليها شهر العسل ، معلنة حرب الاستفزاز ،رافعة شعار "يسبك مايسبني يامرات ابني" ،طالبت بمجيئها لبيت العائلة كأسيرة حرب ذليلة ، لتحصد الغنائم من مشاعرها، وتستلذ بحلاوة النصر،

استاءت سارة وعبرت عن استيائها بمد بوزها لمدة يوم كامل، فحاول حمزة إرضائها ، فأحضر لها هدية، " سلسلة ذهب أبيض إيطالي" وضعها حول رقبتها بهدوء وقبل عنقها : هتنطق عليكي.

شدت السلسلة من رقبتها: أنا عايزك أنت اللي تنطق يا حمزة مش السلسلة، تقدر تقول لي مامتك ليه مصرة تضيع فرحتي بأي حاجه؟

ليه بتعاملني معاملة الخدامين، تصدر أومرها بصوت عالي ، وأنا أنفذ بهدوء؟

: معلش يا سارة ، نستحمل شويه ، ماما طيبة جدا والله ، بس مش قادرة تنسي الطريقة اللي أتجوزنا بيها ، فاحنا لأزم نناسيها بالمعاملة الحلوة، لأزم نصبر وندفع ضريبة حبنا

وقفت لتعد حقائب السفر بيئس : واضح أني هافضل طول حياتي هدفع ضرايب لناس مكسبها الوحيد خسارتي.

★★★

أعدن حقائبهن ، وأرتدين ثيابهن استعددا للسفر ، ظللن في انتظار والد مكاسب الذي أصر علي توصيلهن القاهرة للاطمئنان عليهن، لكنه تأخر عن موعده، أصبن بلعنتي الانتظار والقلق، فتأففن وتوترن وصبين لعانتهن علي مكاسب ووالدها وبلدها، حتي جاء صوته في الهاتف معتذرا عن التأخير مطالبا بتأجيل السفر للغد ، حيث ذهب لمستشقي سوهاج العام لانفجار الزائدة لدي أخته سناء.

علقت أميرة: لازم تنفجر ، مش ابوكي مش عايز يديها حقها لمجرد إنها ست.

مكاسب: لا دي مش هي، دي عمتي سناء،كفيفة وبتربي أيتام

قالوا بصوت واحد: لا حول ولا قوة إلا بالله ، وسألت أميرة : هي كانت مفتحه واتعمت مش كده؟

مكاسب: ايوه ، عرفتي أزاي؟

أميرة: ما دام كانت متجوزة وعندها عيال يبقي كانت مفتحه، أصلي مافيش راجل دلوقتي بيستحمل ست تسند عليه، كلهم عايزين واحدة تغسل لهم الشرابات.

ابتسموا واقتربت أميرة من مكاسب محذرة :مكاسب، أوعوا تكونوا عملتوا فيها زي طه حسين يا بت يا مكاسب.

ضحكت مكاسب: لا ياستي ، دي جوزها مات ، قعدت تلطم وتضرب رأسها في الحيط لحد ما شبكة عينها فصلت.

استغفرت جهاد قائلة: " ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوي الجاهلية" ، وفي حديث تاني "النائحه إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من القطران ودرع من جرب" ربنا يهديها.

هاجر متاثرة: الله، دي قصة حب عظيمة ، فقدت بصرها بفقدانه .

مكاسب بلامبالاة: ولا حب ولا حاجه ، دي كانت عايزه تطلق كذا مرة وابويا رفض عشان العيال وكلام الناس.

أميرة: يبقي ندم ، الندم صعب أوي بياخد من جسم الإنسان

مكاسب بنفس اللامبالاه: لا حب ولا ندم ، دي عادات وتقاليد ، الواحدة عندنا جوزها يموت ، الناس تنتظر منها تموت وراه، والأصيلة بقي تموت كل جزء فيها ، في الجنازة تخرج كل طاقاتها في الصوات واللطم لحد ما تخرج

بعاهـه عشـان تثبـت للنـاس هـي كـد ايـه حزينـة وبالتالـي هـي كـد ايـه أصيلـه، وبعديهـا تتسـجن في عبايـة سـوداء وتتحاسـب علـي النفـس اللـي بتتنفسـه ، الحـزن هنـا ظاهـري ومظهـري.

هبـت أمـيرة واقفـه لتمسـك في خناقهـا وبجديـه قالـت: هـو فيـه إيـه ؟ انتـوا عايشـين معانـا علـي الكوكـب؟

عايشـين في زمـن الجاهليـة؟ ده أبـو جهـل كان كيـوت عنكـم ، علـي الأقـل كان بيدفنهـم ويخلـص.

تتخلـص مكاسـب مـن يدهـا ضاحكـة: هتموتيـني يـا مجنونـة، وانـا مالـي هـو انـا اللـي اتعميـت ولا قولـت لهـم يعملـوا كـده.

تتركها أميرة وتجلس حزينة: أنتوا اللي بتسكتوا ، والسكوت قبول.

جهـاد : وانـا اللـي كان نفسـي أتجـوز صعيـدي عشـان عنـده مبـادئ ومحافـظ علـي دينـه، انتـوا متأخريـن أوي يـا مكاسـب

مكاسـب: مـش كل النـاس هنـا كـده ،الغربـة والسـفر غـيروا النـاس والصعيـد زي أي مـكان فيـه المتعلـم والجاهـل.

أمـيرة: باقـول لـك إيـه، مـش عايزيـن مـبرارات ، قسـما بربـي مـا اقعـد دقيقـة واحـدة في بلدكـم دي ، وأبوكـي علـي أبـو عمتـك.

★★★

لأول مره ترأه مريضاً يتألم ويتضرع لله، مستندا علي ذراع والدتها ،بوجه بائس وعيينين ذابلتين ،لا حول له ولا قوة، اقتربت منه بخطي متوجسه وقلب مثقوب، ونظرت له بعين زجاجية، حيث خانتها الأبجدية ، انتبه لوجودها، فحاول أن يعتدل في جلسته ليسكب عينه في عينيها ، فكسر زجاج عينيها حيث هربت بهما للأرض في حين لمعت عيناه بالدمع فقال بكسرة: عارف إنك مابتحبنيش، بس إنتِ ماتعرفيش إني باحبك.

رفعت عينيها وبحدة قالت: اللي اعرفه إن الحب أفعال.

صمت لينهي مواجهة محتملة منذ سنوات، فتحدثت هي: تعرف يا بابا أنا أكتر كلمة كرهتها، كلمة حب، كلمة كدابه كده جواها غير براها، تشبه القمركده، من بره تحلف بنوره وجماله ومن جوه تنفر من حجارته وصخوره وماتقدرش تاخد نفس طبيعي فيه.

سقطت تلك الدمعة اللامعة في عينيه وقال متوسلا: يا أميرة أرجوكي ، بلاش الكلام ده دلوقتي، أنا تعبان ، تعبان قوي والدكاتره قالوا عندي مرض خطير.

بسخريتها المرة المتمررة: مرض خطير،وحضرتك؟ يبقي أكيد الإيدز.

نهرتها أمها الباكية: أميرة، اوعي تنسي إنك بتكلمي أبوكي

صرخت باكية: دي المشكلة ، أنا عمري ما نسيت أنه أبويا ، أبويا اللي عمره ما فكر أنا بيحصلي إيه لما بشوفه

بـ....صمتـت وهمـت بالرحيـل ، فامسـك بيدهـا كمسـتغيث: أنـا هامـوت يـا أمـيرة، ومـش باطلـب منـك تسـامحيني ، لأن أنـا نفسـي مـش قـادر أسـامح نفسـي، أنـا هطلـب منـك ماتضريـش نفسك،أسـتقوي بالصـح وماتضعفيـش بالغلـط ، افرحـي بالموجـود وماتحزنيـش علـي الناقـص، أنـا لمـا سميتـك أمـيرة ماكانـش عشـان تحطـي تـاج علـي رأسـك ، أنـا سميتـك أمـيرة عشـان تتحطـي تـاج علـي الـرأس، وان كانـت سـقطاتي خلتـني فشـلت في كـدا، فنجاحتـك إنـتِ توصلـك لـده، خـدي بالـك مـن نفسـك.

جاءت كلماته كمجئ سيارة إسعاف بعد موت المريض.فبماذا تفيد؟

فكثيرا ما نفقد روعة الأشياء عندما تصاب بلعنة التأخير.

★★★

بحثـت عـن دموعهـا ، ولم تجدهـا حيـث انتابهـا شـعور غريـب ، فـلا تـدري هـل تحققـت أمنياتهـا في مـوت شـخص تسـبب في عقدهـا النفسـية واغتيالاتهـا المعنويـه، وبالتالـي هـي سـعيدة ، أم أنهـا فقـدت والدهـا وعائلهـا وسـتتعرف علـي مصطلحـات جديـدة كمصطلـح "اليتـم" الـذي طالمـا سمعـت عـن قسـوته وبالتآلـي هـي حزينـة ، لا تـدري ، فثمـة أشـخاص يؤلـك وجودهم ويؤلـك غيابهم أيضـا ، انتابتهـا حالـة صمـت عارمة وسـط لوم ونظـرات المعازيين .

★★★

عادت لتبحث عنه أو عن نفسها داخله ، ضحكت ساخرة عندما تذكرت نصيحة أميرة بان تبعد ، فلا شيء يخلصها من حبها الأعرج سوي البعد ، لا تدري بأن بعدها قرب ، لا يزيدها إلا حبا وتشبثا به

عادت ليستقبلها بعادته كأنها لم تغب ، لا يفتش في تفاصيلها ولا يثرثر معاها علي أيام غيابها ، فقط يكتفي بسؤال مثلج لا طعم له ولا رائحة قائلا : كل ده غياب ؟، فتجيب هي: " ظروف" إجابة مقتضبة مستفزة علها تستفزه فيسأل سؤالا أخر ، فلا يفعل ولا يستفز غيرها ، حيث يتطرق لحديث أخر، أو لاسهاب كلماته المعسولة المحفوظة ، تاركها تحترق بنار اللا حب ، فلأ حب يقوم علي الحفظ والإسهاب ، جلست جانبه بملامح جافه ووجه يخلو من التعبيرات ، وصوت داخلها يتفكر ويسال: كيف له بأن يرحب بوجودها وغيابها معا ، في غيابها كأنها لم تكن وفي وجودها كأنها هي ولا يمكن لغيرها أن يكون ،تصل لإجابة واحدة ، عندما يتساوي وجودك وغيابك لدي الشخص الأهم في حياتك ، فلأبد من أن يفقد شرعيته في الأهمية، قطع صوتها الداخلي: مالك يا هاجر ، ساكته ليه؟

ودت أن تقول : خلص الكلام في عتابك .

لكنها هزت رأسها بائسة: مفيش ، مانمتش كويس أمبارح.

عماد: مانمتيش كويس ليه؟

ابتسمت لسؤاله ،وعادت لاستفزازه بكلماتها تلك " ظروف" ولكن خشيت من نتائجها فسرعان ما قالت : مشكلة، مشكلة كبيرة .

عماد مستغربا: خير ،مشكلة إيه؟

صمتت لعجزها عن تأليف مشكلة ، فقال: ماتقولي يا بنتي، إنتِ هتتكسفي مني ولا إيه؟!

هاجر: لا ،بس،أصل.....

عماد: قولي

خطرت في رأسها فكرة ، طالما استعملتها اميرة مع ضحياها،فقالت :أنا تعبت شوية ، فرحت عملت تحاليل وأشعة وطلع عندي مرض خطير.

عماد: مرض إيه؟

هاجر: مرض.. اللي هو.. في الدماغ ، ورم في الدماغ

عماد: بتتكلمي جد ؟

: حد يهزر في المرض.

عقد جبينه متاثرا بكلامها وسادت لحظة صمت قطعها بقولة : ماتخفيش ، لو كنتي من غير دماغ خالص أنا قابل

شعرت لأول مرة بأن نفسها يخرج طبيعياُ وإن كانت ضربات قلبها غير منتظمة ، تمنت بأن ينتهي العالم عند هذة

اللحظة، العالم الذي يبخل علينا بالحروف المدوية تلك ولا يمنحنا إياها إلا إذا طالنا الموت، لست وجه كأنها تتأكد من وجوده، ثم راودها شعور بأن تلك الكلمات كلمات حب لا شفقة ، لكن فليكن، لا عليها سوي أن تغمض عينيها وتستمتع بتلك السعادة الصافية التي تفتتت خلاياها.

★★★

سخطت علي كل شئ حولها ، بداية من الماء الذي أثار ذعر صديقاتها عندما رأوا مخلفاته قابعة في " الفلتر" ، إلي عمتها التي فقدت بصرها بسب أفة الجهل ، تحول سخطها لتمرد ورفض ،فلا شيء عاد يرضيها مما جعلها هي أيضا مرفوضة بل مغضوباً عليها ،فتحولت لعقرب يلدغ ويموت، انتظرت انقضاء اجازة الترم علي أحر من الجمر لتختبئ في أحضان القاهرة ولتتدفأ بزحامها

★★★

عادت أميرة بحداد علي أيام الأجازة لا علي أبيها ، تلقت من صديقاتها المواساة وكلمات التعازي بحزن مصطنع ، سرعان ماتتطاير برنين هاتفها ،فقالت: ثواني يابنات معايا فون مهم.

هاجر: استني هنا ،إنتِ مافيش حاجه بتحوج فيكي ،أكملت مكاسب: أنا عارفه ،أنا قلت هتيجي تمشي علي الصراط المستقيم.

أميرة: أنا فعلا هالتزم ،وبانهي علاقاتي بكل الناس وقريب هاستقر ،قالتها وجرت علي "البلكونة".

★★★

طرق باب غرفتهن تلك المشرفة الصفراء علي حد قولهن التي لا تطيق كلمة لإحدهن،قالت مشمئزة :زيارة لهاجر ممدوح عبد الله.

التفتت هاجر: ليا أنا ،مين؟

: ابن خالتك، قالتها وذهبت.

هاجر: ابن خالتي إيه، أنا معنديش خالات، استني يا مس.

استوقفتها أميرة: استني إنتِ ، ده أكيد حد يعرفك.

هاجر: معرفش حد غير عماد.

أميرة :يبقي هو.

هاجر :مش ممكن ،ده كان لسه معايا علي الفون وقفل لما المس جت.

أميرة:خلاص انزلي شوفي مين وطمنيني.

★★★

لا خبر يسعد الزوجة سوي إبلاغها بأنها ستصبح أما، لكنها لم تكتب من الزوجات السعيدات ،فسرعان ما فسدت سعادتها لسماعها تلك الكلمات التي كانت بمثابة رصاص فتت بنيانها

" وأنا إيه اللي ضمني إن اللي في بطنك ولد أبني "

سارة: نعم!

أم حمزة: إنتي قبل كده قولتي إنك حامل عشان تدبسي أبني في جوازة ، وقبليها كنتي عايشه معاه بورقه، يعني واحدة رخيصة وكدابه، أتوقع منك أي حاجه

رفعت وجهها للأعلي كي تبتلع عينيها الدموع وحاولت أن تتماسك قائلة: الرخيصة الكدابة ،ابنك اختارها شريكة لحياته، وربنا أرد أن شركتنا تكبر وتدوم، فرزقنا بحته منه ومني، فماتوقفيش قدام أرادة ربنا وحاولي تشوفيني بعين تانية هتلاقيني حد تاني.

أم حمزة: مش هيحصل، إنتي أخرك مع ابني لحد مايخلص امتحانات بعدين نفض الشركة اللي تعر دي، ثم أبعدتها من طريقها بحركة من يدها وذهبت للتركها خلفها منهارة ، وكان بدا أن تنهار، فهناك أخطاء إذا ارتكابنها العمر لا يكفي لها ثمنا.

★★★

ارتدت عباءتها السوداء علي عجل وذهبت بقلق لتري عماد ممسكا بحقيبة هدايا وواقفا في ركن من أركان المدينة الجامعية طالما بكت فيه من وجع خيانته، ابتسمت لمفاجأته وجرت إليه كطفلة سعدت بحضور أبيها، فابتسم لبراءتها قائلا: عاملة ايه النهاردة؟

: أسعد واحدة علي الكوكب.

مازحا: بالعباية دي؟

تذكرت، فوضعت يدها علي فمها خجلا، فقال : باهزر ده حتي شكلك حلو فيها، ممكن تنزلي بيها الجامعة.

هاجر: بجد.

عماد: بجد، حتي تشوفي طلبات الطلبه في الكافتريا.

دفعته في كتفه وابتسما

عماد: أنا عارف ان عيد ميلادك فاضل له شهرين، بس قابلت الهدية دي فجبتهالك ، افتحيها..

أخذتها مبتسمة وفكت تغليفها لتجد دمية من العاج علي شكل رجل يحمل امرأة علي كف يده.

ضحكت: الله، معناها جميل أوي.

عماد: فيه حاجه كمان في الشنطة شوفيها.

وجدت علبة شكولاته علي هيئة قلوب محفور عليها اسمها "هاجر".

دمعت من السعادة، فمازحها ليمحي دمعها : دي هتدفعي تمنها عشان كلفتني، ضحكت بصوت عالٍ.

انتبهت المشرفة لوقفتهما فنادت عليها.

ارتجفت : يا لهوي ، المشرفة خدت بالها من الهدايا ، أنا هامشي لتعمل لي مشكلة.

عماد: خدي بالك من نفسك.

هزت رأسها بسعادة .

★★★

بحثت عن نفسها أو عن شيء يؤكد وجودها ، شيء يجعلها تري بالعين المجردة، يجعلها تنتظر بداية اليوم لا نهايته.

تذكرت حينما رأت أميرة رسوماتها ،فأشادت بها ،وأكدت لها بأنها تتمتع بموهبة كبيرة ، ومن هنا اكتشفت أنها تجيد الرسم ، قد تكون هذه الموهبة مرآة تعكس صورتها المبعثرة ،فتري نفسها ويرأها الآخرون ، ولكن السعي كيف يكون؟

إذا كان وجود موهبة لدي إنثي في الصعيد أشبه بوجود لؤلؤة في بطن السماء ، تحتاج لجناحين ومغامرة كبيرة من أجل الوصول.

لكن لا عليها، فهي الأن في القاهرة لا الصعيد.

نهضت من فراشها إلي سنترال أميرة "البالكونة" ، وكالعادة وجدت رأسها مسكوبة في الهاتف ، فهزت كتفيها : أميرة، عايزكي ضروري

أشارت لها بعلامة الصبر ، دون التوقف عن مكالماتها، غضبت مكاسب : يازفت باقول لك عايزكي ضروري.

لم تجد أميرة مفرا امام إصرارها، فأنهت مكالماتها علي ضجر : إنتِ دايما بتيجي في وقت مش مناسب ،عايزه إيه؟

مكاسب: إيه ، كان هيجبلك الشبكة؟

اميرة: كان هيجبلي شكولاته زي هاجر، ودي أغلي عندي من الشبكة .

مكاسب: مش عارفه إيه جنون البنات بالشكولاته ده ، ما أنا بنت اهو وكيس لب عندي برقبتها، دي البت هاجر جابت لنفسها الكانسر عشان الشكولاته.

أميرة: هههههه، لا هاجر جابت لنفسها الكانسر عشان الاهتمام ، المهم كنتي عايزه إيه؟

مكاسب: عايزة ارسم.

أميرة: ماترسمي ،هو انتِ بترسمي بصوابعي أنا .

مكاسب: افهمي، عايزه ارسم ورسوماتي توصل للناس ،وابقي مشهورة وكده.

أميرة ساخرة: سهله، عليكي وعلي السبكي، هيشهرك في لحظات.

مكاسب: تصدقي إنك واطية وأنا اللي قلت إنك الوحيدة اللي هتساعديني .

أميرة : يا بنتي اتحركي، اشتركي في معارض ، في مسابقات

الجامعة ، حاولي تنتشري علي السوشال ميديا ، اعملي صفحة وأعرضي عليها أعمالك،جروبات كده، ساعدي نفسك وماتستنيش مساعدة من حد لأن اللي هيقدملك حاجه هياخد قصادها اتنين ،حتي لو كنت أنا.

مكاسب: مش قلت لك واطية، بس ده مايمنعش أنك هتساعديني برده لأني ماليش علاقات في الجامعة ومابافهمش في السوشال ميديا ولا باعرف اروح مكان لوحدي.

اميرة: حد قال لك قبل كده يا مكاسب ، إنك كائن لزج لزوج البطاطا.

★★★

اختارت له هدية ردا علي هديته ، تزينت كأميرة عربية وطارت كالفراشات للقائه ، وكأنه اللقاء الأول بينهما، حضر فاستنشقت رائحته، ألقي تحيته متحاشيا النظر في عينيها، وجلس فجلست أمامه ،وقبل أن يبدأ بأي كلام ،أخرجت هديتها مازحة : جبتلك هديه عشان محدش يبقي أحسن من حد، افتحها كده ،شوف هتعجبك ولا لا ،أصل...

قاطعها بحدة: إنتِ ازاي تعملي عليا فيلم وتعملي نفسك عيانه؟!

أخرستها السؤال، فأكمل: إنتِ واحدة كدابة وغشاشة.

دمعت: أنا فعلا عيانة، عيانه بيك ، أنت اللي تقرب وتحب وقت

مـا تحـب ، وتبعـد وتخون وقت ما تحب، وأنـا اللي باحب بمرض.

أنا بنك التنازلات اللي بتسحب منه بدون ضمان.

عماد: كفايـة يـا هاجـر، اقلعـي تـوب الضحيـة اللـي انـتي لابسـاه طـول الوقـت ده ،قالهـا بعلـو صوتـه.

دمعت: طـول عمـري باكـدب نفسـي واصـدق كدبـك ، وبرضـة بتشـيلني الغلـط ودلوقـتي بتقـول ضحيـة.

أشعل قلبها بـدلا من أن يشعل سيجارته حيث قال بهـدوء لزج: بطلعـي تستمتعي بالدمـوع والكسـرة ، كفايـة ضعـف ، أنـا باكـره ضعفك اللـي بيفكرنـي بضعفـي في مجتمـع مابيعترفـش الا بالأقوياء.

اندهشـت لكلامـه ،فهـز رأسـه مؤكدا: أيـوه كان نفسـي اسـتقوي بيكـي ، لكـن إنـتي مـش عارفـه تعيشـي غـير مكسـورة .

أخـذ نفسـا طويـلا مـن سـيجارته ثـم القـي برصاصـة في قلبهـا حيـث أكمل: إحنـا مـش لبعـض، إنـتي واحـدة عايشـه عشـان تنجرحـي وأنـا واحـد مـش عايـز أنجـرح عشـان أعيـش.

جففـت دموعهـا نافيـة: مـش صحيـح، أنـا واحـدة بتحـب لآخـر نفـس فيهـا وده في حـد ذاتـه قـوة.

عمـاد: القـوة عنـدي ليهـا مفهـوم تانـي ، والحيـاة أولويـات، عمـرك شـوفتي حـد لابـس سـاعة وماشـي حـافي ،أو بـني بيـت الـدور التانـي قبـل الأول؟

هاجر: ابني بنيانك علي الحب ، أنا متمسكة بحبك.

عماد: وأنا متمسك بلقمة العيش.

هاجر: مافيش بينهم تعارض.

عماد: بس فيه بينهم صراع أنا في غني عنه.

أغلق في وجهها كل الأبواب وذهب ليتركها وسط هداياها تحاول نزع تلك الأسهم التي توالت علي اختراق قلبها.

★★★

رسمت طفلة بائسة ، واقفة أمام مرآة تقص شعرها الطويل بحسرة حتي أصبحت كالرجال .

رفعت الرسمة في وجه أميرة: إيه رأيك؟

أميرة: جميلة ، بس ليه طفلة ماتخليها بنت كبيرة عشان تبقي معبرة أكتر.

مكاسب: شايفها معبرة عن إيه؟

اميرة: عن حال البنات المكبلين بعادات عقيمة ، فبيتخلوا عن أنوثتهم مقابل المساواة.

ابتسمت مكاسب: ما قصدتش كده خالص.

أميرة: أمال تقصدي إيه؟

مكاسب: وأنا في المدرسة كان عندي مدرس حساب غبي، كان لما يحب يعاقبنا بيشدنا من شعرنا ،وأنا كنت ضعيفه في الحساب، فكان بيقطعلي شعري ،فقررت أقصه مع إنيبحب الشعر الطويل.

أميرة : يخرب بيت قصصك ، تصدقي فصلتيني وطبعا بعد ماقصيتي شعرك كان بيمسكك من ودانك.

ضحكت مكاسب: حصل

أميرة: لازم يحصل ، مادام مافيش متابعة من الأهل أو رقابة من الحكومة علي واحد مايعرفش حاجه عن العملية التعلمية، يبقي لازم يحصل.

دخلت عليهما هاجر ،ففزعا من هيئاتها حيث أذبت الدموع كحل عينيها ، وتبعثر شعرها ليخفي نصف وجهها ،تمشي مترنحة وكأنها تحمل فوق رأسها بؤس بنات العرب جميعا حتي وصلت لسريرها، أسرعا إليها وقالت مكاسب: وشك أصفر لونة،أوعي يكونوا اتحرشوا بيكي؟

أميرة: فيه إيه ،ماتقلقيناش.

نطقت بصعوبة: عماد سابني ، وعرف اني مش عيانه واني باكدب عليه.

أميرة: عماد سايبك من زمان يا هاجر، وعمره ما كان معاكي، وعلي فكرة انا اللي قلت له إنك مش عيانه ، عشان ياخد

قـرار وتنتبهـي لمسـتقبلك.

تحولـت هاجـر لسماع الجملـة الأخـيرة ، حيـث هبـت صارخـة : بتقولـي لـه ليـه ، مالـك ومـال مسـتقبلي ،إنـتِ واصيـة عليـا؟

أميرة: ايوه واصية ياهاجر ، عشان إنتِ خلاص فقدتي عقلك وعايزة حـد ينتشـلك مـن الضيـاع اللي كل يـوم تتوحلي فيه أكـتر من الأول.

هاجـر: ضيـاع! ،هـو فيـه ضيـاع أكـتر مـن اللـي إنـتِ فيـه، تقـدري تقولـي لـي إنـتي علـي علاقـة بـكام واحـد في وقـت واحـد ، تقـدري تقوليلـي اللـي إنـتي بتعمليـه ده طبيعـي أصـلا؟!

أمـيرة: أنـا فقـت يـا هاجـر صدقيـني ،بقيـت لواحـد بـس ، قررت اكمـل حياتـي معـاه، كان لازم أفوقـك معايـا زي ماورطتـك زمـان

هاجـر بعيـون زائغـة: بتحرميـني مـن الحـب وتوفريـه لنفسـك !منـك للّه ياشـيخه ، منـك للّه.

★★★

قبلـت بـه، فلِمَ لا ،وهـو يتمتـع بصلاحيـات تتمناهـا أي فتـاة ، جامعـي ووسـيم ولديـه شـقة وسـيارة ، ويتفـوق علـي حمـزة بقـوة شـخصيته وخفـة ظلـه، وفـوق كل ذلـك يتمـني لها الرضـا ترضي ولا يمسـك عليهـا سـقطة واحـدة، وكان بـدا مـن أن تتخلـص مـن عقـد الماضـي وشـبح الزكريـات ،علهـا تجـد في الـزواج والاسـتعداد لـه مخرجـا، بلغتـه موافقتهـا ،فـكاد أن يحلـق مـع الطيور،فمـن اليـوم

هـو الأمـير الـذي فـاز بأمـيرة ذات العينـين السـاحرتين الجذابتـين.

مـرت عليهـا الأيـام هادئـة وتصـالح مـع النفـس، بـل ومـع العـالم، كانـت اكثـر إقبالاًعلـي الحيـاة، تلـك الـتي فقدتهـا بسـبب رجـل وأعادهـا آخـر إليهـا، أصـر حـاتم علـي وضـع علاقتهمـا في إطـار رسمي،وأمـام اصـراره حـددت لـه موعـداً مـع والدتهـا .

★★★

انتظرتـه في فسـتانها الـوردي، ونـبرات صـوت بلـون فسـتانها ، جـاء فارتفعـت روحهـا لتلامـس نجـوم السـماء.

جلـس بعـد ترحيبهـم بـه ، تنـاول العصـير وعمـت حالـة صمـت طويلـة قطعتهـا أمهـا: أمـيرة كلمتـني كتـير عـن أخلاقك،وواضـح أنـك شـاب مميـز ومهـذب.

رد بهدوء مخيف:أنا كمان عايز اكلمك عن أخلاقها.

شـعرت أمـيرة بقلـق موجـع كالمـرض حاولـت إخفـاءه بابتسـامة مصطنعـة ، فنظراتـه لم تكـن نظـرات الحـب المعتـادة منـه ولهجتـه لم تكـن الحانيـة تلـك بـل حملـت بـين طياتهـا رائحـة سـخرية.

أردفـت أمهـا: ندخـل في الموضـوع علـي طـول بلغـني انـك جـاي تتقـدم لأمـيرة بنـتي و....

قاطعهـا بنفـس الهـدوء: لا أنـا جـاي أقدملـك "D.C"يحمـل السـيرة الذاتيـة لبنتـك ،عشـان تتعـرفي عليهـا.

نظرت الأم نظرة حيرة وعدم فهم لأميرة التي هبت واقفة وبتوتر قالت: مالك يا حاتم ، فيك إيه؟

وقف رافعا صوته: إنتِ اللي فيكي، فيكي مضغة قذرة بتتغذي علي جرح المخلصين.

صرخت الأم: فيه إيه يا بني فهمني.

حاتم : شوفي ال"D.C" دي ياحاجه وإنتِ تفهمي ، هتلاقي عليه كل بطولات بنتك في جرح القلوب، بالاسم والصور وأرقام التليفونات والهدايا ، كله هنا.

رمي نسخه في وش أميرة: خدي اتفرجي.

أميرة: انت أكيد اتجننت ، أطلع بره قبل ما أصوت والم عليك الناس.

عماد :الناس هتتلم عليكي أنتي ، لأني وزعت علي كل ضحيه من ضحياكي نسخة ، وكل واحد بيستعد للانتقام بطريقته، أنا عملت مجهود كبير لحد ما وصلت لهم واحد واحد وعملت مجهود أكبر في جمع ال D.Cبس الحقيقة مش لوحدي ، صديقتك الصدوقة ساعدتني كتير وكفايه إنها هي اللي حذرتني من البداية وسردت لي تاريخك المشرف، الجامعة كلها مستنياكي بكره، قالها وذهب.

لم تصدق أذنها ولم تتحمل نظرات أمها ،فجرت علي غرفتها

وأغلقت الباب بإحكام لتنخرط في حالة بكاء هستيري، صبت لعناتها علي الدنيا التي ترمي عليها شباكها وتنتظر منها ألا تصطاد ، رن هاتفها فارتعشت وكأنه سيخرج منه شخص ينتقم في الحال، جمعت قوتها وأخذت تحطمه بغل عل بتحطيمه يتحطم الماضي .

توقفت حينما أعادت علي مسمعها جملة حاتم "مش لوحدي ، "صديقتك الصدوقة ساعدتني" اختنقت بحبل الشك والحيرة تحدث نفسها متسائلة : ياتري مين فيهم ؟ هاجر اللي متخيلة انها بتعيش قصة حب عظيمة وأنا اللي ضيعت منها البطل ؟ ولا سارة اللي متهماني باني وصلت لأم حمزة كدبتها واتسببت في فساد سعادتها؟ تكونش مكاسب، أيوه مكاسب ،ليه لا ،شايفه حواليا كتير وهي محدش معبرها والحقد يعمل أكتر من كده ، أو ممكن جهاد ما هي بشر برضه ،نصحتني كتير بالحسني وماسمعتش ،فحاولت تتوبني بطريقتها.

لف رأسها وأكلهامن الفكر والحيرة ، عاد هاتفها المحطم للرنين مرة أخري ، نظرت حولها وكأنها تبحث عن شخص تحتمي به ، شخص يخبئها خلفه متلقيا عنها الطعنات للحفاظ علي روحها ، تذكرت والدها ، نعم والدها هو الوحيد الذي كان سيفعل ،ويكون لها درعا في المعركة ،حتي لونالت عقابها منه، لكن هيهات فقد رحل والدها الذي كان موته أقوي من حياته ،قدرت وجوده ولكن تبا للتقدير الذي

يأتي بعد الغياب ،ضاقت الدنيا في عينيها، اختبأت في فراشها ،دفنت رأسها وكأنها تسكب ما فيها من أوجاع.

★★★

وقفت متكأة علي النافذة تنتظر مجيئه، لكنه لم يجئ ،فجرجرت قدميها بيئس حتي وصلت لفراشها ،خاضت تجربة بائسة فاشلة للقبض علي النوم ، فجاء متسحباً كلصوص الخزن ،شعرت بحركته، رفعت غطاءها الذي تستر به دموع عينيها ونهضت قائلة: حمد الله علي السلامة .

رد متفاجئاً بمفأجاة غير سارة: الله يسلمك، إنتي لسه صاحيه؟

تجاهلت سؤاله ، :عايزاك في كلمتين يا حمزة.

حمزة: بكرة إن شاء الله عشان جاي مرهق ، هم بخلع ملابسه استعداداً للنوم.

سارة: انهي بكره يا حمزة وإنت طول الليل سهران مع أصحابك وطول النهار نايم.

تذمر قائلاً : يوه يا سارة، إنتي بقيتي نكديه خالص وبعدين انا باسهر أذاكر عشان انجح واشتغل ونستقل بحياتنا بعيد عن ماما مش ده كلامك.

سارة: بتسهر تذاكر! ،إنت مصدق نفسك يا حمزة؟!

حمـزة: خـلاص باسـهر اشـيش مـع صحابـي ياسـارة ،عايـزه ايـه؟

سـارة: عايـزاك تفـوق وتفتكـر إنـك مسـئول عـن طفـل جـاي للدنيـا وعـن جاريـة مسـجونة بـين أربـع حطـان.

حمزة: قولت لك انزلي الجامعه إنتِ اللي مش عايزه.

: لا يـا حمـزة ، أنـا هارجـع اسـكن في المدينـة تانـي علـي الأقـل القـي حـد اتكلـم معـاه.

:إنـتِ اتجننـتِ، هترجعـي المدينـة أزاي ببطنـك دي ، مـش عارفه انهـم مانعـين المتجوزيـن مـن السـكن أصلا.

سـارة: هـو ده اللـي فـارق معـاك؟ هاخـبي بطـني ياحمـزة ومحـدش هيعـرف انـي اتجوزت.

: اللي يريحك، بس ماعتقدش إن ماما هتوافق علي حاجه زي كده.

تضـرب كـف علـي الآخـر: يـادي ماما ،هـو أنـا متجـوزك أنـت ولا متجـوزة مامتـك؟

يجيبهـا وهـو يسـحب الفـراش علـي جثتـه : متجوزانـي أنـا بـس ماما هـي اللـي بتصـرف.

★★★

انبهرت به ، هو الرسام الثلاثيني الذي جمع بين العمق والبساطة، القسوة واللين ، الكبر والتواضع ، كلٍ في موضعه، لكنها شعرت بضآلة حجمها أمامه ، فهو المثقف الواعي المتزن الذي سافر بلاد العالم وهي الفارغة المشوشة التائهة حبيسة الصعيد ، وذلك لا يزيدها إلا انبهارا به وتلصصا علي حياته ، هو، ينقصها هو كي تكتمل ، ولكنه حتما يبحث عن المكتملة ، هكذا الشرقيون يبحثون عمن يشبههم لا من يكملهم ، تمنت أن يستمع لحديثها الداخلي ، أن يشعر بها ، أن يلتفت إليها ، لكن نيل المطالب لا بالتمني ، فقررت أن تتعب، التعب لمثله فقط.

★★★

انتفضت كيمامة منتوفة الريش في مواجهة قط مفترس حينما أرسل إليها أحدهم رسالة تهديد عبر فيس بوك مؤكدا أنه سيترك علي وجهها علامة تذكار بالسلاح الأبيض ثمنا لما تركته في قلبه من علامات ، كذلك ارسلت إليها صورة لعينييها الجميلتين مشوهةً بماء النار فصرخت وأخذت تتحسس عينيها لتتأكد أنهما بخير ، حطمت جهاز الكمبيوتر الخاص بها ومن قبل هاتفها ، تخلصت من كل شئ كان قريباً منها ، حتي ملابسها الأنيقة ، جمعتها في قلب الغرفة واشعلت فيها النارمما أفزع والدتها فجاءت مسرعة، ارتمت بين أحضنها وتشبثت بها كطفلة راضيعة باكية: الحقيني ياماما ، هيشوهوني.

الأم : ماتخفيش محدش هيلمس شعره منك ، المهم ماتكرريش غلطك تاني.

أميرة: أكرر! أنا مش قادرة أخرج من الأوضة يا ماما ، الجامعة كلها مقلوبة عليا ، حتي حسين بيشتمني بالاسم في قصايده ، وكل البنات شمتانه فيا.

الأم: ماتنزليش غير في الامتحانات وبعدين هاحول لك لجامعة تانية.

★★★

جمعت رسوماتها لتأخذ رأيه فيها، أو لتأخذ مسافة قرب منه ، أكد لها موهبتها ونصحها بتغذيتها، بالتأمل و تغذية خيالها الفقير والتمتع بالخضرة والموسيقي وكثرة الإطلاع علي أعمال المبدعين، نفذت كل ماقاله وكأنه طبيب يكتب روشته علاج لمريض يأمل في الشفاء.

★★★

لفت الأيام ولفت رؤسهن معاها ، اجتمعن بعد فرقه في حفل زفاف جهاد التي ارتبطت بشخص كتم غعجابه بها حتي طرق باب أبيها ، صدح صوت عدوية :

الدنيا مولد مغلوب وغالب .. غالب ومغلوب
واللى بيقع يا عينى يروح ويندااس
واللى بيقع يا عينى يروح ويندااس

شدتهن أم جهاد ليرقصن ، ليزداد الفرح فرحا ، فرقص البنات يمحي السكات علي حد قولها .

تمايلت أميرة علي إيقاع الموسيقي ، أغمضت عينيها لتري صورة واحدة ،وهي صورة خيانة أصحابها لها حينما اتفقن مع حاتم للتمثيل عليها تمثيلية حتي تتراجع عما تفعله ،فحين رقصت هاجر بشعرها ،فأخذت ترميه بقوة يمينا ويساراً كأنها تريد أن تخرج شبح عماد من رأسها، أما مكاسب فقط وقفت صامتة تنزف قهرا كشجرة قطعوا فروعها لصناعة باب للستر متذكرة حرق والدها لرسوماتها وتهديده بحرمانها من الدراسة إن لم تكف عن تفاهتها ، أم الرسام الثلاثيني فسافر ليستمتع بصفو الحياة في بلاد الثلج دون النظر إليها ، تخبطت سارة في رقصتها لحملها صغيرتها بين يديها وفي رأسها ألف عقرب ينهشها متسائلا عن كيفية مواجهة عصام بعدانفصالها عن حمزة الذي اكتشف أن الحياة الزوجية ماهي الا دائرة ممتلئة بالنكد والملل والشك فقرر أن يخرج من دائرته حرا طليقاً.

"تمت"